

مقدمة تحقيق تفسير الحافظ ابن كثير

المسماة

مشاعل التنوير

مشاعل التنوير

لطالب تفسير ابن كثير

تأليف

د. محمد بزرزق بن طرهوني

١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فهذا القسم الأول من عملنا في تحقيق تفسير الحافظ ابن كثير الذي تكلمنا عنه في مقدمة التفسير نفسه وهو عمل غير مكتمل تماما لأننا توقفنا عن إتمام العمل لما بيناه في الموضوع المشار إليه وجل ما هو في هذا القسم مستفاد من باحثين سابقين حاولنا جمع ماسطوره مع بعض التنقيح أو الزيادة ليكتمل العمل ونظرا لكون ذلك كان منذ عشرين سنة ولم يعد في الإمكان إنجاز ما كنا نرغب فيه لظروف طرأت وتقدم العمر نخرج ما تم جمعه والتعديل والإضافة عليه في ذلك الوقت حتى لانعدم الفائدة ونستسمح الإخوة الباحثين في ترك العزو لما تقدم من عذر .

وقد قسمنا الكتاب إلى فصلين :

الأول : ترجمة الحافظ ابن كثير

والثاني : دراسة لتفسير الحافظ ابن كثير ومباحث متعلقة به

وهذا ماتيسر وبالله التوفيق .

وكتب

محمد بن رزق بن طرهوني

١٤٣٩ هـ

الفصل الأول

ترجمة الحافظ ابن كثير

هذا المبحث كنت أود ألا أعرج عليه طويلا ظنا مني أنه قد أخذ حقه من باحثين قبلي
لاسيما من سبق تحقيقه لهذا الكتاب أو لغيره من كتب الحفاظ أو من الله عليه بعمل يتصل
بهذا العالم الجليل ...

كما كنت أتوقع أن يكون لهذا الإمام أبحاث مفردة له تخدم سيرته وجهوده سهلة التناول
ومتعددة الوجوه ...

ولكنني وجدت أن ذلك لم يكن وكثير ممن ترجم له إنما نقل نقلا من غيره بما يشبه التكرار
الذي لا إضافة فيه وانحصر كلام الجلب في معلومات مقتضبة ويكفي أن أضرب مثلا لذلك
حيث لم يتعرض بعضهم لذكر تلاميذ هذا العالم الخبير إطلاقا وبعضهم ذكر أنه لم يقف له إلا
على تلميذ واحد فقط وهذا في الحقيقة إجحاف بالحافظ ابن كثير وقصور في ترجمته وهو لا
شك غير مقصود لكنه يبرر تكرار الترجمة للوقوف على جوانب أهملت أو مباحث تطرق إليها
التقصير .

أما الكتب التي أفردت لترجمته رحمه الله فوجدتها حسب بحثي عزيزة ونادرة فلم أقف إلا على
كتاب واحد هو ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه للدكتور وهبة الزحيلي وقد
استفدت منه كثيرا في هذه الترجمة وذكر أنه قد ألف في الحفاظ ابن كثير رسالتان الأولى رسالة
دكتوراه في التاريخ للدكتور مسعود الرحمن خان بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند بعنوان "
دراسة لابن كثير كمؤرخ في ضوء كتابه البداية والنهاية " والثانية رسالة ماجستير للدكتور مطر
الزهراني بجامعة أم القرى بعنوان " الإمام ابن كثير المفسر " وليستا في المتناول وقد استفاد من
الأولى حيث تحصل عليها مطبوعة وأما الثانية فلم يقف عليها ، وقد تيسر لي الوقوف عليها
والاستفادة منها وقد نقلت عنها كثيرا من المعلومات في هذه المقدمة .

والآن نشرع في هذا المبحث بعون من الله وتوفيقه :

اسمه ، ونسبته ، وكنيته ، ولقبه :

ابن كثير هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع () القرشي (٢) ،
القيسي (٣) العبسي () ، البصري (٤) ، الدمشقي .
ويكنى ابن كثير بأبي الفداء ويلقب بعماد الدين .

ولادته :

ولد ابن كثير رحمه الله في مجدل () القرية من أعمال بصرى كما يؤخذ من كلامه في ترجمة
والده (٢) .

وقد حسم الحافظ رحمه الله الخلاف في سنة ولادته () ، حيث قال في حوادث سنة (٧٠١هـ)
من كتابه البداية والنهاية : (وفيها ولد كاتبه ، إسماعيل بن كثير القرشي ...) (٩) .

() كذا بالدال المهملة في البداية والنهاية ٣١/١٤ وفي غيرها ، وجاء في بعض المصادر بالمعجمة وفي البعض الآخر
بالزاي .

(٢) هذا النسب مما ذكره ابن كثير نفسه في ترجمة والده في كتابه " البداية والنهاية " (٣٣/١٤) .

(٣) هذه النسبة ذكرها الحافظ ابن حجر في " الدرر الكامنة " (٣٩٩/١) ، والسيوطي في " ذيل تذكرة الحفاظ " (ص ٣٦١) ، ولم يذكرها غيرها . وهي نسبة إلى قيس عيلان من مضر .

() جاء ذلك في بعض نسخ الدرر الكامنة : وعيس بطن من قيس عيلان .

(٥) نسبة إلى " بصرى الشام " ، وينسب إليها ابن كثير ؛ لأن ولادته كانت بقرية من أعمالها كما سيأتي . ونسبه
بعضهم : البصري وهو خطأ .

() مجدل هكذا بالتصغير في بعض المصادر وفي البعض الآخر : مجدل . وهي بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال
المهملة (انظر مصادر الاطلاع ١٢٣٠/٣) وهي الآن قرية صغيرة تقع في منتصف الطريق بين دمشق ودرعا وتتبع
الآن منطقة الصنمين وكانت سابقا تابعة لبصرى . (انظر ابن كثير الدمشقي ص ٥٧)

(٧) انظر : البداية والنهاية (٣٣/١٤) .

() اجتهد الشيخ أحمد شاكر^١ في هذا الأمر حتى إنه استدرك على ابن كثير نفسه حيث قال _ تعقيبا على قول
الحافظ عند وفاة والده : وكنت إذ ذاك صغيرا ، ابن ثلاث سنين أو نحوها . لا أدركه إلا كالحلم _ قال : " الذي هو
في سن أقل من الثلاث ما أظنه يذكر شيئا كالحلم ولا أبعد من الحلم ولا أقرب ... " قلت : بل القول قول الحافظ وهو
أعرف بنفسه وما أظنه خفي عليه ما ظهر للشيخ رحمه الله وكون ابن الثلاث لا يذكر شيئا دعوى مفتقرة للدليل بل
الواقع يردها .

(٩) البداية والنهاية (٢٢/١٤) .

نشأته وأسرته :

نشأ ابن كثير في أسرة علم وفضل فقد كان أبوه الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير من العلماء الفقهاء الخطباء . ولد _ كما قال ابنه _ في حدود سنة ٦٤٠ هـ ومما قال في ترجمته : " اشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى . فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة . وحفظ جمل الزجاجي . وعني بالنحو واللغة والعربية . وحفظ أشعار العرب ، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمرثي وقليل من الهجاء وقرر بمدارس بصرى ... ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى ، وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النواوي والشيخ تقي الدين الفزاري ، وكان يكرمه ويحترمه ، فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملاكي . فأقام بها نحو من اثني عشرة سنة . ثم تحول إلى خطابة " مجيدل القرية " التي منها الوالدة . فأقام بها مدة طويلة في خير وكفايه وتلاوة كثيرة . وكان يخطب جيدا ، وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع ؛ لديانته وفصاحته وحلاوته . وكان يؤثر الإقامة في البلاد ، لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعِياله . وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها . أكبرهم إسماعيل . ثم يونس ، وإدريس . ثم من الوالدة : عبد الوهاب ، وعبد العزيز ، وأخوات عدة . ثم أنا أصغرهم وسميت باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق ، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده ، وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبيه ، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري ، وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملاكي ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية ، فمكث أياما ومات . فوجد الوالد عليه وجدا كثيرا ، ورثاه بأبيات كثيرة . فلما ولدت أنا له بعد ذلك سماني باسمه . فأكبر أولاده : إسماعيل ، وأصغرهم وآخرهم : إسماعيل ، فرحم الله من سلف ، وختم على خير من بقي .

توفي والدي في شهر جماد الأول سنة ٧٠٣ هـ في قرية مجدل . ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون . وكنت إذ ذاك صغيرا ، ابن ثلاث سنين أو نحوها . لا أدركه إلى كالحلم ثم تحولنا من بعده في سنة ٧٠٧ هـ إلى دمشق ، صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقا ،

وبنا رفيقا شفوفا ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر
الله منه مايسر وسهل منه ماتعسر " . (١)

طلبه للعلم :

سبق أن ابن كثير ولد في أسرة عرفت بالعلم والأدب والشرف ، فأتجه إلى الطلب في وقت
مبكر من حياته ، على يدي أخيه عبد الوهاب كما سبق . وأكمل حفظ القرآن الكريم ، ولم
يتجاوز العاشرة من عمره على شيخه شمس الدين البعلبكي (٧٣٠هـ) ، حيث قال : (وعليه
ختمت القرآن في سنة إحدى عشرة وسبعمائة . (٢)

وقرأ بالقراءات ، حتى عدة الداوودي من القراء ، وترجم له في طبقاتهم التي ألفها .
وسمع الحديث من كثير من أئمة الحفاظ في عصره . وعني بالسمع والإكثار منه . فسمع
صحيح مسلم في تسع مجالس على الشيخ نجم الدين ابن العسقلاني ، بقراءة الوزير العالم أبي
القاسم محمد بن محمد بن سهل الأزدي الغرناطي الأندلسي (٧٣٠هـ) حين قدم دمشق في
جمادى الأولى سنة ٧٢٤ هـ عازما على الحج () .^٣

وذكر في ترجمة شيخه الكبير المعمر الرحلة شهاب الدين الحجار معروف بابن الشحنة
(٧٣٠هـ) : أنه سمع عليه " بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحو من خمسمائة جزء
بالإجازات والسمع " . ()^٤

وقرأ على صهره الحافظ المزي مؤلفه العظيم في الرجال " تهذيب الكمال " وغيره
كما حفظ المتون المتنوعة في العلوم الشرعية فحفظ في أوائل ما حفظ كتاب التنبية للشيرازي
أهم مختصر في الفقه الشافعي وعرضه سنة ثمان عشرة وسبعمائة () ، كما حفظ مختصر ابن
الحاجب في الأصول .

(١) البداية والنهاية (٣٤/١٤) .

() انظر : البداية والنهاية (١٥٠/١٤) .

() البداية ١٤٩/١٤ .^٣

() البداية ١٥٠/١٤ .^٤

() شذرات الذهب ٢٣١/٦ ، إنباء الغمر ٣٩/١ .

وكان صحيح الذهن ، كثير الاستحضار ، قليل النسيان (١) .
وهكذا لزم ابن كثير - رحمه الله - الاشتغال بطلب العلم ، ودأب وحصل وكتب ، حتى برع
في علوم كثيرة ، وصار يشار إليه بالبنان ولما يزل شابا (٢) وهذا من فضل الله عليه ، إذ هيا
له أسباب تحصيل العلم ، ويسر له سبله .

رحلته :

والرحلة في طلب العلم من سمات العلماء وهي هم لبعضهم طلبا للعلو في الإسناد وعلى الرغم
من كون الحافظ ابن كثير لم يشغل نفسه بهذا المطلب لقلّة أهميته في العصور المتأخرة فقد
سافر إلى عدة بلاد التقى فيها بأهل العلم فاستفاد وأفاد ومن البلاد التي وطئتها قدمه بعد
دمشق التي استوطنها :

القدس ، ونابلس ، وبعبك ، والقاهرة .

وقد سافر إلى الحجاز سنة ٧٣١هـ حيث أدى فريضة الحج في جمع من علماء دمشق .
ونقل السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ كلام الحافظ ابن حجر في أنه " لم يكن على طريقة
المحدثين ... " ثم تعقبه بقوله : " العمدة في علم الحديث ؛ معرفة صحيح الحديث وسقيمه ،
عـلله واختلاف طرقه ، ورجاله جرحا وتعديلا ، وأما العالي والنازل ونحو ذلك - فهو من
الفضلات ، لا من الأصول المهمة " .

زواجه وذريته :

صحب ابن كثير محدث الديار الشامية في عصره أبا الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد
الرحمن المزري إمام الحفاظ (٧٤٢هـ) ولازمه وصاهره فتزوج ابنته زينب وكانت هي وأمها قد
حفظتا القرآن على الشيخة الصالحة أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية (٧٤١هـ) . ()

() انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٣٧/٢) ، وطبقات المفسرين (١١١/١) .

() انظر : طبقات المفسرين (١١٠/١) ، والبدر الطالع (١٥٣/١) .

() انظر البداية ١٩٢/١٤ ، ٧٢/٢٤ ، ابن كثير حياته ص ٢٤ .

ورزقه الله منها عددا من الأولاد أكبرهم الشيخ عز الدين عمر بن إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٨٣هـ) عني بالفقه وكتب تصانيف أبيه وهو الذي نسخ لأبيه نسخة المسند التي جعلها أصلا في تأليف جامع المسانيد . ()^١

ومنهم زين الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (٧٩٢هـ) . ()^٢

ومنهم أبو البقاء محمد بن إسماعيل (٨٠٣هـ) طلب العلم ودرس بعد أبيه في تربة أم صالح وكتب تاريخا ولكنه لم يكن محمود السيرة . ()^٣

ومنهم تاج الدين عبد الوهاب بن إسماعيل (٨٤٠هـ) سمع من أبيه وغيره وحدث وسمع منه الفضلاء . ()^٤

ومنهم شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الذي عرف بابنته المحدثه أسماء بنت أحمد . ()

شيوخه :

وقد بدأ الاشتغال على يدي أخيه عبد الوهاب كما قدمنا فهو أول شيوخه ، وصحب جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزري (٧٤٢هـ) ولازمه وصاهره كما سبق أيضا وكان من أعظم تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) . ولازمه وتخرج على يديه . وكانت له به خصوصية ومناضلة عنه ، واتباع له في كثير من آرائه . وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتنحن بسبب ذلك وأوذي . ولما مات شيخ الإسلام بسجن القلعة رحمه الله لم يسمح لأحد بالدخول أول الأمر إلا لخواص أصحابه فكان ابن كثير منهم قال : وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزري رحمه الله وكشفت عن وجه الشيخ وقبلته وعلى رأسه عمامة بعذبة مغروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه . ()^٦

() إنباء الغمر ٧٥/٣ ، ابن كثير الدمشقي ص ٦٣ .

() لحظ الألبان بذيل طبقات الحفاظ ص ١٧٨ .

() الضوء اللامع ١٣٨/٧ ، شدّرات الذهب ٣٥/٧ ، ابن كثير الدمشقي ص ٦٤ .

() الضوء اللامع ٩٨/٥ .^٤

() الضوء اللامع ٦/١٢ .^٥

() البداية والنهاية ١٣٨/١٤ .^٦

وتفقه على الشيخين : برهان الدين الفزاري ابن الفركاح (٧٢٩هـ) وكمال الدين ابن قاضي شهبة (٧٢٦هـ) .

وتقدم ذكر جماعة من شيوخه وهم :

ابن الزملكاني (٧٢٧هـ)

شمس الدين محمد البعلبكي الحنبلي (٧٣٠هـ)

ونجم الدين ابن العسقلاني

والحجار ابن الشحنة (٧٣٠هـ)

ومن شيوخه أيضا غير ما ذكر :

(١) عيسى المطعم (٧١٩هـ) .

(٢) القاسم بن عساكر (٧٢٣هـ) .

(٣) شمس الدين الشيرازي (٧٢٣هـ) .

(٤) ضياء الدين الزرنندي (٧٢٣هـ) .

(٥) محيي الدين الشيباني (٧٢٤هـ) .

(٦) إسحق بن يحيى الأمدي (٧٢٥هـ) .

(٧) محمد بن أحمد الزراد (٧٢٦هـ) .

(٨) عبد الله بن محمد المقدسي (٧٣٧هـ) .

(٩) القاسم بن محمد البرزالي (٧٣٩هـ) .

(١٠) شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (٧٤٨هـ) .

(١١) شمس الدين الحسيني (٧٦٥هـ) .

(١٢) ابن سند (٧٩٢هـ) .

(١٣) بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) .

(١٤) ابن الملقن (٨٠٤هـ) .

(١٥) سعد الدين النووي (٨٠٥هـ) .

كما أجاز له جماعة من أهل العلم من مصر وبغداد وغيرها ومنهم أبو الفتح الدبوسي وعلي بن عمر الوائي ويوسف الختني وأبو موسى القرافي وابن الدواليبي وغيرهم .

تلاميذه :

وهم كثر قال ابن العماد : وتلامذته كثيرة .

ومن أراد الاستقصاء فيمكنه أن يجمع عددا كبيرا منهم عن طريق الإجازات والمشيخات وتتبع مصنفات أهل العلم في عصره وقد استطاع الدكتور مسعود الندوي أن يحصي منهم أربعة عشر تلميذا وقال :

في حين لم تأت الإشارة إلا إلى واحد منهم عند من ترجموا لابن كثير قبلنا .

وسوف أذكر هنا منهم خمسة من الأئمة الأعلام تتلمذوا على هذا العلم ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب الندوي وهم :

الإمام سعد الدين ابن يوسف بن إسماعيل بن يونس النواوي ت ٨٠٥هـ قدم دمشق صغيرا وقرأ على ابن كثير كتابه في علوم الحديث وأذن له بالفتوى . ()^١

الإمام ابن حجي

الإمام الزركشي

الإمام الحسيني صاحب ذيل تذكرة الحفاظ

الإمام ابن الجزري وهو ممن أذن له ابن كثير في الفتوى () .^٢

أعماله ونشاطه العلمي :

تنوعت أعمال الحافظ ابن كثير نظرا لموسوعيته وعلو منزلته العلمية ومما قام به من جهود علمية اشتهر بها :

() انظر الدارس في تاريخ المدارس ١/٣٢٠ .

() انظر مفتاح دار السعادة ٢/٥٥ .

الإقراء :

برز الحافظ ابن كثير في هذا الجانب العلمي وولي مشيخة الإقراء بمدرسة أم الصالح كما ذكر النعمي () ، وترجم له الداوودي في طبقات القراء ، وقد ظهر أثر علم ابن كثير بالقراءات في غضون تفسيره وهو غالبا ما يعتمد قراءة نافع ومن وافقه وبينه على وجوه القراءات الأخرى كما هو مثبت في موضعه ويأتي الحديث عنه في دراستنا للتفسير .

التحديث والإجازة :

وهذا الجانب أملاه المنزلة السامقة لابن كثير في الحديث وعلومه فقد كان حافظا من حفاظ هذه الأمة لحديث رسول الله ﷺ أخذ الحديث عن جماعة من أهل العلم كما تقدم سمعا وإجازة وحدث وأفاد وأسمع الحديث وأجاز حتى إنه أجاز كل من أدرك حياته كما ذكر الحافظ ابن حجر () .

ومن أخبار إجازاته ما ذكره في حوادث سنة ٧٦٣هـ — أن شابا أعجميا حضر من بلاد تبريز وخراسان وزعم أنه يحفظ البخاري ومسلما وجامع المسانيد والكشاف وغير ذلك فامتحنه ابن كثير بحضرة جماعة في مجالس من البخاري وغيره ثم كتب له بالسماع لا الإجازة ففرح بذلك وقال : أنا ما خرجت من بلادي إلا للقصدي إليك وأن تجيزني وذكرك في بلادنا مشهور . () وهذا الخبر يدل على أنه كتابه (جامع المسانيد) وصل إلى أقصى الشرق ، في بلاد تبريز وخراسان ، حتى يحفظه هذا الشاب الأعجمي أو يحفظ شيئا منه . في حين أن الحافظ ابن كثير لم يتم تأليف " جامع المسانيد " كما هو معروف ، فكأن العلماء وطلاب العلم كانوا ينسخون ما يخرج منه ، ويتداولونه بينهم ، حتى يصل من دمشق إلى تلك النواحي النائية .

() انظر الدارس ٣٢٦/١ . ١

() انظر إنباء الغمر ٤٠/١ . ٢

() انظر البداية ٣٩٥-٢٩٤/١٤ .

التدريس :

قعد الحافظ ابن كثير للتدريس إلى آخر عمره وانتفع به خلق كثيرون ودرس علومها عدة منها التفسير والفقهاء وقد بدأ التدريس في المدرسة النجيبية المخصصة للشافعية منذ قدومه إلى دمشق وبدأ التدريس بها يوم الخميس ١١ جمادى الأولى من سنة ٧٣٦هـ .

كما كان يدرس التفسير في الجامع الأموي ومن ذلك ما حدث في يوم ٢٨ شوال سنة ٧٦٧هـ حيث قعد لدرس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين واجتمع فيه القضاة والأعيان وأخذ في تفسير الفاتحة وكان يوماً مشهوداً وخصص الأمير منحة للطلاب الذين يحضرون الدرس () .^١

وقد تولى الحافظ ابن كثير مشيخة عدة مدارس ومن ذلك :
مشيخة مدرسة أم الصالح :

وذلك بعد وفاة شيخه الإمام الذهبي () وحضر أول دروسه فيها أعيان الفقهاء والقضاة وكان الدرس مشهوداً كما يقول ابن كثير () .^٢
مشيخة دار الحديث :

وهي دار الحديث الأشرفية بدمشق ووليها مدة يسيرة ثم أخذت منه () . وقد وليها قبله جماعة من شيوخه منهم الحافظ المزني وابن الزملاكي .^٣
مشيخة التنكزية :

وقد تولاهما بعد شيخه الذهبي () ، وهي أول دار جمعت بين القرآن والحديث واسمها دار القرآن والحديث التنكزية أنشأها نائب السلطنة واسمه تنكز الملكي الناصري بدمشق .
كما كان رحمه الله يقوم بامتحان الطلبة ومن أعاجيب ذلك امتحانه هو وجماعة من الأئمة سنة ٧٦٣هـ ولد الشيخ كمال الدين بن الشريشني وهو العلامة بدر الدين محمد اجتمعوا

() انظر البداية ٣٢١/١٤ .^١

() انظر الدارس ٣٦/١ .^٢

() البداية ٢٢٥/١٤ .^٣

() انظر الدارس ٣٦/١ .^٤

() انظر ذيل تذكرة الحفاظ ص ٨٥ ، ابن كثير دمشقي ص ١٠٥-١٠٦ .

كلهم عليه وأحضروا نيفا وأربعين مجلدا من كتاب المنتهى للتمييز في اللغة وسأله عن بيوت الشعر المستشهد بها فيه فيذكرها ويتكلم عن كل منها بكلام مبين مفيد فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه إلا القليل الشاذ ويقول الحافظ : وهذا من أعجب العجائب وأبلغ الإغراب . ()^١

كما امتحن في سنة ٧٤٧هـ صبيا عمره ست سنوات كان يحفظ القرآن ويصلي بالناس في رمضان فوجده مجيدا للحفظ والأداء على الرغم من صغر سنه . ()^٢

الإفتاء :

برز الحافظ ابن كثير في هذا الجانب ولا غرو فهو إمام من أئمة الشافعية غير أنه لم يكن متقيدا بالمذهب وإنما كان يدور مع الدليل حيث دار وقد طارت أوراق فتاواه إلى البلاد كما قال ابن حبيب . ووصفه شيخه الذهبي بالفقيه المفتي وكان يأذن لغيره بالإفتاء كما تقدم ذكره من إذنه للنواوي والجزري .

التأليف :

لقد تفرغ الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في حياته للتأليف والتصنيف إلى جانب ما كان يقوم به من الأعمال الكثيرة في خدمة الدين والأمة الإسلامية . ولذلك خلف كتباً كثيرة في شتى مجالات العلم والمعرفة ، ووصف الحافظ الحسيني مصنفاته فقال : (وله تصانيف مفيدة)^(٣) وسبق قول الحافظ ابن حجر العسقلاني : (سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته)^(٤) .

() انظر البداية والنهاية ١٤/٢٩٥-٢٩٦ .

() انظر البداية والنهاية ١٤/٢٢٠ .

() ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٨)^٢ .

() الدرر الكامنة (١/٤٠٠) .^٤

وكان من أوائل ما صنف في شبابه _ ولعله أول كتاب ألفه _ أحكام التنبية ، ولما اطلع عليه شيخه البرهان الفزاري أعجبه وأثنى عليه . ()

قائمة بمؤلفات الحافظ ابن كثير مرتبة هجائياً :

- (١) الاجتهاد في طلب الجهاد - (رسالة في الجهاد) كتبها للأمير منجك لما حاصر الفرنج قلعة إياس. وهو رسالة صغيرة مطبوعة () .^٢
- (٢) أحاديث التوحيد والرد على الشرك . () .^٣
- (٣) الأحكام الصغرى في الحديث ، ويعرف أيضاً بالأحكام الصغير ، سماه ابن كثير في كتابه (اختصار علوم الحديث)(٤) ، وهو مفقود (٥) .
- (٤) الأحكام الكبير أو (الأحكام الكبرى في الحديث) ، وهو كتاب مبسوط في الحديث ، لكنه لم يتمه ، ووصل فيه إلى باب الحج ، قال ذلك السيوطي والداودي (٦) ، وأحال عليه ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) (٧) ، وكتابه (اختصار علوم الحديث)(٨) ، وهو مفقود (٩) .
- (٥) أحكام التنبية ، وهو كتاب في الفقه الشافعي ، ألفه ابن كثير رحمه الله في صغره كما سبق ، وهو مفقود () .^١

() انظر : إنباء الغمر ١/٣٩ ، أشذرات الذهب /٢٣١ ، طبقات الشافعية ٢/٢٣٧ ، طبقات المفسرين ١/١١١
() من طبعاتها : مؤسسة الرسالة . تحقيق د. بد الله عسيلان ، دار اللواء بالرياض ، دار الرشاد بالقاهرة تحقيق د. محمد زينهم .

() طبع مع كتاب جامع البيان في دلهي عام ١٢٩٧هـ
() الباعث الحثيث (ص ٢٠٢) ؛ وانظر : ابن كثير حياته (ص ١٣٤) .
() ابن كثير دمشقي الحافظ المفسر (ص ٢٥١) .
() ذيل طبقات الحفاظ (ص ٣٦١) ، طبقات المفسرين (١/١١١) .
() البداية والنهاية (٣/٥٢٤) .^٧
() الباعث الحثيث (ص ٣٥، ٣٦٢) .
() ابن كثير دمشقي (ص ٢٥١) .
() ابن كثير دمشقي (ص ٣٤٢) .

- (٦) اختصار علوم الحديث في المصطلح ، اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح المعروفة ويعرف بالباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث () ، وهو مطبوع متداول^٢
- (٧) استشهاد الحسين . مطبوع . () .^٢
- (٨) الإسراء والمعراج وهل رأى النبي ﷺ ربه؟ . مطبوع . () .^٣
- (٩) بداية الخلق . مطبوع . () .^٤
- (١٠) البداية والنهاية ، وهو كتاب التاريخ النفيس المعروف .
- (١١) البلغة والإقناع في حل شبهة مسألة السماع (بين فيه حكم الغناء والمعازف) ()
- (١٢) تخريج أحاديث أدلة التنبيه (إرشاد الفقيه إلى تخريج أحاديث التنبيه) ، ذكره ابن حجر والسيوطي^(٦) وهو الآن مطبوع محقق كما أفاده د/محمد الزحيلي^(٧)
- (١٣) تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، أشار إليه ابن كثير في البداية^(٨)، وقد طبع الآن بتحقيق الأستاذ عبد الغني الكبيسي .
- (١٤) ترتيب مسند أحمد على الحروف . () .^٩
- (١٥) تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير .

() ذهب البعض إلى أن الباعث الحثيث كتاب آخر غير اختصار علوم الحديث (انظر مقدمة المرعشلي لتفسير ابن كثير ١٥/١)

() طبع بتقديم د. محمد جميل غازي بمطبعة المدني بالقاهرة مع كتاب رأس الحسين لابن تيمية .

() طبع بتحقيق محمد عبد العزيز الهلاوي بدار الطلائع بالقاهرة .

() طبع بتحقيق إبراهيم الجمل بدار الكتاب العربي ببيروت .

() ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٠٠١ .

() الدرر الكامنة (٤٠٠/١) ذيل طبقات الحفاظ (ص ٣٦١) .

() ابن كثير دمشقي (ص ٢٥٢) .

() البداية والنهاية (١٧٦/١٣)^٨ .

() ذكره السيوطي في ذيل التذكرة ص ٣٦١ فقال : ورتب مسند أحمد على الحروف وضم إليه زوائد الطبراي وأبي

يعلى .

(١٦) التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل - ذكره الحسيني بهذا العنوان^(١) - ويعرف أيضا بـ : التكملة في أسماء الثقات والضعفاء^(٢) ، جمع فيه الحافظ ابن كثير بين كتاب شيخه المزني (تهذيب الكمال) ، وكتاب شيخه الذهبي (ميزان الاعتدال) ، مع زيادات مفيدة في الجرح والتعديل^(٣) ، ولا يزال الكتاب مخطوطا ، وتوجد نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، برقم (٢٤٢٢٧) كما ذكر محقق تهذيب الكمال في مقدمته^(٤) .

(١٧) جامع المسانيد والسنن ، (الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن ، والكتاب مطبوع متداول .

(١٨) جزء يوم عرفة . ذكره في تفسير الآية ١٩٩ من سورة البقرة .

(١٩) الدلائل _ معجزات النبي ﷺ . مطبوع . ()

(٢٠) ذكر مولد الرسول ﷺ ورضاعه . مطبوع . ()

(٢١) السيرة النبوية (المطولة). صرح ابن كثير أنه ألف كتابا بعنوان (السيرة النبوية)^(٧) بل قال في تفسير سورة الأحزاب في غزوة الخندق: (وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزا وبسيطا ، والله الحمد والمنة)^(٨) .

وكتابه الموجز هو الفصول كما سيأتي ذكره قريبا إن شاء الله تعالى . وأما كتابه البسيط فلم يعثر عليه كما يقول د/مصطفى عبد الواحد^(٩) .

() ذيل تذكرة الحفاظ (ص٥٧) .^١

() انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة^٢ (١/٣٢٢) .

() انظر الباعث الحثيث (ص٢٤٢-٢٤٣) .

() مقدمة تهذيب الكمال (١/٦٤) .

() طبع بتحقيق محمد الهلاوي نشرته مكتبة القرآن بالقاهرة .

() طبع بتحقيق ياسين السواس^٣ ومحمود الأرنؤوط نشرته دار ابن كثير بدمشق .

() فضائل القرآن لابن كثير (ص١٦) .

() (٣٩٨/٧) الشعب ، (٤٧٨/٣) مصطفى البابي الحلبي .

() مقدمة السيرة د/مصطفى عبد الواحد (١/١٢) .

وما اشتهر أخيرا بكتاب السيرة النبوية المطبوعة في أربعة مجلدات ، فقد أفرده د/مصطفى
عبدالواحد من كتاب البداية والنهاية قد دمج تلك السيرة فيه (١) وتبعه في ذلك د/محمد
الزحيلي (٢) والله أعلم بحقيقة الحال .

وقد اختصره محمد علي قطب وسماه مختصر سيرة ابن كثير . ()^٣

(٢٢) شرح صحيح البخاري . شرح ابن كثير قطعة منه ولم يكمله ، قال ابن حجر: (وشرح

في شرح البخاري) (٤) وقد أحال إليه ابن كثير أيضا (٥) وهو من القسم المفقود(٦)

(٢٣) شرح التنبيه . ()^٧

(٢٤) شعب الإيمان . ()^٨

(٢٥) شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه . مطبوع . ()^٩

(٢٦) طبقات الشافعية ، أو طبقات الفقهاء الشافعيين ، مطبوع . وقد حققه عبد الحفيظ

منصور .

(٢٧) العقائد . (١)

(٢٨) علامات يوم القيامة . مطبوع . ()^١

(٢٩) الفصول في سيرة الرسول (الكتاب الوجيز في السيرة) ، مطبوع متداول ()^٢ .

() المرجع السابق (١٣/١) .^١

() ابن كثير دمشقي (٣١٦) .^٢

() طبع بدار المسيرة ببيروت .^٣

() الدرر الكامنة (٣٩٩/١) .^٤

() انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٤/٧) الشعب .

() ابن كثير دمشقي (ص ٢٥١) .

() ذكره الداوودي في طبقات المفسرين ١١٢/١

() انظر : ابن كثير دمشقي ص ١٥١

() طبع بتحقيق د. مصطفى عبد الواحد . بدار المعرفة ببيروت .

(١) مخطوط نقل عنه رضا نعيان معطي في كتاب (علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين) ص ٥١ .

() طبع بتحقيق عبد اللطيف غاشور نشرته مكتبة القرآن بالقاهرة .

() من طبعاته : مطبعة العلوم بالقاهرة ، دار القلم بدمشق تحقيق الخطراوي ومستو ، دار اللواء بالرياض .

- (٣٠) فضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابه ولغاته ، مطبوع متداول . وسنفرده الحديث عنه في مبحث خاص إن شاء الله تعالى .
- (٣١) قصص القرآن الكريم ، وهو مستل من كتاب البداية والنهاية ، فصله د/مصطفى عبد الواحد ، وهو مطبوع متداول.
- (٣٢) قصص الأنبياء . مستل من البداية والنهاية . مطبوع () .^١
- (٣٣) كتاب الصيام . ذكره في تفسيره آية ١٨٤ من سورة البقرة .
- (٣٤) الكواكب الدراري في التاريخ اختصره من تاريخه الكبير . ()^٢
- (٣٥) مسند الشيخين - أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - ذكره السيوطي (٣) ، من القسم المفقود (٤) .
- (٣٦) مسند عمر رضي الله عنه والآثار المروية عنه وقد قام بتحقيقه د/مطر الزهراني وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى ، ولم يطبع حتى الآن .
- (٣٧) مختصر كتاب المدخل إلى كتاب السنن للحافظ البيهقي . ()^٥
- (٣٨) المقدمات . ذكره في مختصر مقدمة ابن الصلاح وأحال عليه . ()^٦
- (٣٩) مولد الرسول ﷺ . مطبوع . ()^٧

() من طبعاته : دار إحياء التراث العربي تحقيق عبد القادر عطا ، نشرة دار الخير دمشق تحقيق علي بلطجي ومحمد وهبة ومعروف زريق .

() ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٥٢١

() ذيل طبقات الحفاظ (ص ٣٦١) . وانظر أيضا : الدرر ١/٣٧٤ ، طبقات الداودي ١/١١٢ وفيه ذكر كيفية إسلام أبي بكر وأورد فضائله وشمائله وأتبع ذلك بسيرة الفاروق وأورد ما رواه كل منهما من الأحاديث وما روي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى فبلغ نحو ثلاث مجلدات (انظر السيرة النبوية ١/٤٣٣)

() ابن كثير دمشقي (ص ٢٥١) .

() ذكره في مقدمة اختصار علوم الحديث (انظر الباعث ص ١٥)

() انظر مقدمة الباعث الحثيث ص ١٤ .

() طبع بتحقيق د. صلاح الدين المنجد بدار الكتاب الجديد ببيروت .

١ (٤٠) النهاية في الفتن والملاحم (أو نهاية البداية والنهاية) مطبوع متداول () .

(٤١) الواضح والنفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس (أو مناقب الإمام الشافعي) ، مطبوع .

هذا وللحافظ ابن كثير رحمه الله مؤلفات لا تزال مخطوطة وأخرى في عداد المفقود (٢) وهناك كتب طبعت بأسماء مختلفة نسبت إلى ابن كثير ، وهي في الحقيقة مستلة من كتبه الأخرى ، وليس من مؤلفاته المستقلة (٣) .

وهذه قائمة ببعض مؤلفات له أشار إليها في مصنفاته نقلناها من بعض من ترجم له :

(١) مقدمة مفردة : جمعها من كتاب الإنباه لابن عبد البر ومن كتاب القصد والأهم في

معرفة أنساب العرب والعجم ذكره ابن كثير في التفسير ش ٣٦٤/٧ (٤)

(٢) مؤلف في أقوال العلماء في معنى الصلاة الوسطى : ذكره في التفسير ش ٤٣٤/١

(٣) مسألة الذبيحة التي لم يذكر اسم الله تعالى عليها . ذكره في البداية والنهاية : ٢١/٨

(٤) مصنف مفرد في تحريم الجمع بين الأختين : ذكره في البداية والنهاية ٢١/٨ .

(٥) كتاب فيه تراجم لشيعة ابن تيمية ذكره في البداية والنهاية : ١٣٩/١٤ .

(٦) مشيخة خرجها لشيخه علاء الدين القوزي ذكرها في البداية والنهاية : ١٤٧/١٤

عند ذكر وفاة شيخه وقال : (وخرجت له مشيخة سمعناها عليه)

(٧) جزء مفرد في تكذيب ما ادعاه يهود خيبر من أن بأيديهم كتاب من النبي صلى الله

عليه وسلم فيه وضع الجزية عنهم كتبه علي بن أبي طالب وشهود جماعة من الصحابة

منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان ذكره في البداية والنهاية : ٣٥٢/٥ .

() من طبعاته الكثيرة : تحقيق الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري نشر المكتبة القيمة بالقاهرة ، تحقيق فهم أبو عيبة بدار النهضة بالقاهرة .

() راجع كتاب : (ابن كثير ، حياته ومؤلفاته) ، للدكتور مسعود الندوي فقد أوصل مؤلفات ابن كثير إلى (٣٤) مؤلفا .

() انظر : ابن كثير دمشقي (ص ١٨٠، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٦٩، ١٦٨) .

() ش = طبعة الشعب^٤

- (٨) جزء في الأحاديث الواردة في قتل الكلاب واختلاف الأئمة في ذلك ذكره في البداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ .
- (٩) جزء في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : ذكره في البداية والنهاية "الفتن والملاحم" : ٤/١ .
- (١٠) جزء في فتح القسطنطينية : ذكره في التفسير : ٣٩/٢ .
- (١١) جزء في تقصي طرق حديث ابن عباس في فضائل العمل في عشر ذي الحجة المروي في البخاري ذكره في التفسير : ٤١١/٥ .
- (١٢) جزء في مسألة هل الإخوان تسمى إخوة : يعني في مسألة الميراث مع الأم ذكره في التفسير (ش ١٩٩/٢)
- (١٣) جزء في تكذيب حديث ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه عن ابن عمر أن السجل كاتب النبي صلى الله عليه وسلم . ذكره في التفسير (ش ٣٧٨/٥) .
- (١٤) جزء في مسألة دخول مؤمني الجن الجنة . ذكره في التفسير ش ٢٧٨/٧ .
- (١٥) جزء في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطيبها وتبخيرها : ذكره في التفسير (ش ١/٢٤٣ و ٦٦/٦) .
- (١٦) جزء في ذكر طرق وألفاظ وعلل وما يتعلق بحديث كفارة المجلس : ذكره في التفسير (ش ٥٣٣/٨ و ٤١٥/٧) .
- (١٧) جزء في ذكر المهدي : ذكره في الفتن والملاحم : ٤٣/١ .
- (١٨) جزء في إسناد حديث الشفاعة الطويل : ذكره في التفسير ش ٢٨٢/٣ .
- (١٩) جزء في فضل يوم عرفة : ذكره في التفسير (ش ٣٥٤/١) .

مميزاته :

١- القدرة على الحفظ ، فقد وهبه الله عز وجل حافظة متميزة وموهبة متفوقة ، قال عنه

تلميذه ابن حجي (١) : أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ورجالها ، وأعرفهم بجرحها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك(٢) .

٢- كثرة الاستحضار : اقتربت صفة الحفظ عند ابن كثير رحمه الله بميزة أخرى وهي كثرة الاستحضار وقلّة النسيان .

٣- جودة الفهم : كان رحمه الله صحيح الذهن ، قادرا على الاجتهاد والدقة العلمية ، ومن هنا كانت له آراء واجتهادات وترجيحات .

٤- خفة الروح : وهي صفة تدل على سماحة النفس والاهتمام بالطلاب والتخفيف عنهم ، والترويح في التدريس .

وقد جاءت هذه الصفات على لسان المترجمين له إذ قالوا : (كان رحمه الله كثير الاستحضار ، قليل النسيان ، جيد الفهم ، صحيح الذهن حسن المفاكهة) (٣) .

٥- القوة في الحق والمناضلة عنه ، فقد كان رحمه الله قويا في الحق ، مناضلا عنه ، متحملا الأذى في سبيله لا تأخذه في الله لومة لائم وقد جاء في ترجمته : (أنه كانت له خصوصية بابن تيمية ومناضلة عنه ، واتباع له في كثير من آرائه ، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتنحن بسبب ذلك وأوذى) (٤) .

إنصافه للخصوم وعدله معهم :

ففي حوادث سنة ٧٢٧ هـ يترجم لوفاة الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني ترجمة وافية ومنصفه، مع أنه كان خصما لابن تيمية ومن يناصره ومنهم ابن كثير ، وكان ابن الزملكاني يبيت لشيخ الإسلام النوايا حتى قبيل وفاته ، ومع ذلك يقول فيه ابن كثير : " شيخ الشافعية

(١) هو شهاب الدين ابن حجي ، وسيأتي ذكره عند ذكر تلامذة ابن كثير .

(٢) طبقات المفسرين (١١٠/١) .

(٣) الدرر الكامنة (٤٠٠/١) ، إنباء الغمر (٣٩/١) ، طبقات المفسرين (١١١/١) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٣٨/٢) ، شذرات الذهب (٢٣١/٦) .

(٤) الدرر الكامنة (٤٠٠/١) .

بالشام وغيرها ، انتهت إليه رياسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة ... ، وبرع وحصل ، وساد أقرانه من أهل مذهب ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقاد في تحصيل العلم ، وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحدا من الناس درس أحسن منها ، ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته وصحة ذهنه ، وقوة قريحته ، وحسن نظمه ، وقد درس بالشامية و... ، فكان يعطي كل واحدة منهن حقها ، بحيث يكاد ينسخ بكل واحدة من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلما كان الجمع أكثر ، والفضلاء أكبر كان الدرس انضرو وأبهر ، وأحلى وأنصح وأفصح ، ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العديدة عاملة معاملة مثلها وأوسع بالفضيلة جميع أهلها من العلوم ما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم ، ثم طلب إلى الديار المصرية ليولى الشامية دار السنة النبوية فعاجلته المنية قبل وصوله إليها ... ، وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام موليا أن يؤدي شيخ الإسلام ابن تيمية ، فدعا عليه فلم يبلغ أمله ومراده " (١) .

وكان بين ابن كثير رحمه الله تعالى وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي خصومة فكرية ، وتشاء الظروف أن توجه اتهامات على قاضي القضاة في التفريط في أموال الأيتام ، وطلب من المفتين أن يضعوا خطوطهم بتثبيت الدعوى ضده ، لترغيمه ومحاكمته ، ويصل الأمر إلى صاحبنا العلامة ابن كثير ذي الخلق الكريم ، والموقف العادل ، فيأبى الكتابة ، وينصف قاضي القضاة ، ويوقف الافتراء والاتهام إلى أن يتبين الحق ، ويسجل ذلك في تاريخه في أحداث سنة ٧٤٣ هـ . (٢)

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

تبوأ الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في حياته مكانة علمية مرموقة ، وحاز من ثناء العلماء من معاصريه فمن بعدهم ما يدل على فضله ، وتقدمه في العلم والأدب والعبادة . وتتجلى مكانة ابن كثير ومنزلته العلمية من ناحيتين :

(١) البداية والنهاية ١٤/١٣١-١٣٢ ، وانظر : الفصول ص ٦٣-٦٤ .

(٢) انظر البداية والنهاية ١٤/١٣١-١٣٢ ، وانظر : الفصول ص ٦٣ .

الأولى : من خلال ما تركه من ثروة علمية ، وتأليف نافعة ينهل منها طلاب العلم ، ويعولون عليها في بحوثهم ، لا سيما في تفسير كلام الله تعالى ، وتقدم ذكر بعض هذه المؤلفات .
الثانية : شهادة العلماء المتخصصين ، وخاصة الذين عاصروه ، سواء كانوا شيوخا له أو تلاميذ طلبوا العلم على يديه .

ومن المناسب هنا ذكر بعض الأقوال المتضمنة الثناء عليه ، وبيان مكانته العلمية في نفس الوقت ، وذلك على سبيل المثال لا الاستقصاء ، ومن ذلك ما يلي :

- قال الإمام الذهبي وهو شيخه : وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل، عماد الدين بن إسماعيل بن عمر البصري الشافعي ... ، وله عناية بالرجال والمتون والتفقه ، خرج وألف ، وناظر وصنف ، وفسر وتقدم (١) .

٢ - وقال أيضا في المعجم المختص : فقيه متفنن ومحدث متقن ومفسر نقاد . (٢)

- وقال الحافظ أبو المحاسن الحسيني : (الشيخ الإمام الحافظ المفيد البارع ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ... ، صاهر شيخنا الحافظ المزي فأكثر عنه ، وأفتى ودرس وناظر ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال والعلل ...) (٣) .

- وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (٤) : (الإمام العلامة الحافظ عماد الدين، ثقة المحدثين ، عمدة المؤرخين ، علم المفسرين ، أبو الفداء ...) (٥) .

- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٦) : (واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله ، فجمع التفسير ... وكان كثير الاستحضر ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في

(١) تذكرة الحفاظ (٤/١٥٠٨) .

(٢) انظر طبقات المفسرين ١/١٢٢

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ (٥٨) . ٣

(٤) هو محمد بن عبد الله - أبي بكر - بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي ، الشهير بابن ناصر الدين ، حافظ للحديث ، مؤرخ . - انظر ترجمته في : الضوء اللامع (٨/١٠٣) ، شذرات الذهب (٧/٢٤٣) .
(٥) الرد الوافر (٩٢) . °

(٦) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكتاني العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، شيخ الإسلام الإمام الحافظ المتقن . - ترجمته في : الضوء اللامع (٣٦-٤٠) ، البدر الطالع (١/٨٧-٩٢) ، شذرات الذهب (٧/٢٧٠-٢٧٣) .

حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ... (١) .

- وقال ابن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ : قال العيني رحمه الله : كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ وسمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ واشتهر بالضبط والتحرير وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة (٢) .

_ وقال الحافظ شمس الدين الداودي (٣) (كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ ... (٤) .

_ وقال تلميذه شهاب الدين ابن حجي : " كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث . وأعرفهم بتخريجها ورجالها ، وصحيحها ، وصحيحها وسقيمها . وكان أقرانه وشيوخه يتعرفون له بذلك . وكان يستحر كثيرا من التفسير والتاريخ ، قليل النسيان ، وكان فقيها جيد الفهم صحيح الذهن ، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت . ويشارك في العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر . وما أعرف أبي اجتمعت به - على كثرة ترددي عليه - إلى واستفدت منه " . (عن النعمي في كتاب الدارس) .

_ وقال السيوطي : " له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله . يشير إلى هذا التفسير العظيم الذي بين أيدينا .

وقال فيه ابن حبيب - فيما نقل الداودي في طبقات القراء ، وابن العماد في الشذرات : إمام ذوي التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنف ، وأطرب الأسماع بأقواله وشف ، وحدث وأفاد ، وطارت فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياضة العلم في التاريخ والحديث والتفسير .

(١) الدرر الكامنة (١/٤٠٠) .

(٢) النجوم الزاهرة ١١/١٢٣ .

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد الداودي المصري ، شمس الدين ، محدث حافظ مفسر ، (ت ٩٤٥ هـ) . ترجمته في :

شذرات الذهب (٨/٢٦٤) .

(٤) طبقات المفسرين (١/١١٠) .

فهذه بعض الأقوال النيرة التي قيلت في الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - .
وقد قيلت فيه أقوال كثيرة جدا هي في الجملة شهادة عالية له بالتفوق والتقدم في العلم والعمل والجهاد في سبيل الله تعالى .

موقفه من الشعر :

يبدو أنه رحمه الله لم يكن من المولعين بالأشعار حتى إنه قال معقبا على قصيدة لوالده في الغزل : وعدتها ثلاثة وعشرون بيتا والله يغفر له ما صنع من الشعر . ()
وروى له الحافظ ابن حجر في (إنباء الغمر) وابن العماد في الشذرات وغيرهما بعض الأبيات المشهورة عنه وهي قوله :

تمر بنا الأيام تترى وإنما
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى
ومن بعد ذا فالعبد إما منعم
كما أجاز جماعة بيت شعر فقال :

أجزتهم ما قد سئلت بشرطه
وكاتبه إسماعيل ابن كثير
وله منظومة ذكر فيها الخلفاء العباسيين بعد المعتصم وخلفاء الفاطميين وخلفاء بني أمية .
وقال عنه ابن العماد : ينظم نظما وسطا .

عقيدته :

كان الحافظ ابن كثير - رحمه الله - سلفي العقيدة ، سائرا على منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل العقيدة ، والاستدلال عليها .
هذا هو المعروف عن الحافظ ابن كثير - ، ويؤيد ذلك مايلي :

() البداية والنهاية ٣٣/١٤

أولاً : أن له رسالة في العقائد قرر فيها عقيدة السلف ومما جاء فيها قوله : (فإذا نطق الكتاب العزيز ، ووردت الأخبار الصحيحة ، بإثبات السمع والبصر والوجه والعلم والقوة والقدرة والعظمة والمشية والإرادة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك ، وجب اعتقاد حقيقته من غير تشبيه شيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، والانتهاج إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ من غير إضافة ولا زيادة عليه ولا تكييف له ، ولا تشبيه ، ولا تحريف ، ولا تبديل ، ولا تغيير ، ولا إزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه إليه ، والإمساك عما سوى ذلك) (١) .

ثانياً : أنه في تفسيره المشهور ، جرى على منهج السلف في تفسير آيات الصفات ، ومن الأمثلة على ذلك :

تفسيره لصفة الاستواء في قوله تعالى ﴿ إِنْ رَكَمَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (٢) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : وأما قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك والأوزاعي (٣) والثوري (٤) والليث بن سعد (٥) والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه (٦) وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من

(١) العقائد ، لابن كثير ، مخطوط (ق ٢ / ٤) ، نقلا عن كتاب (علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين) ، لرضا نعيان معطي (٥١) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٥٤) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو الفقيه ، كان ثقة جليلا ، (ت ١٥٧ هـ) . انظر : التقريب (٣٩٦٧) .

() هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، الحافظ الحجة الثبت الجليل (ت ١٦١ هـ) . - انظر : مقدمة الجرح والتعديل (ص ٥٥) ، تاريخ بغداد (١٥١ / ٩) .

() هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور ، (ت ١٧٥ هـ) . - انظر : التقريب (٥٦٨٤) .

() هو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الحنظلي ، أبو محمد ابن راهويه المروزي ، ثقة حافظ مجتهد ، (ت ٢٣٨ هـ) . - التقريب (٣٣٢) .

غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (١) ، بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعي (٢) شيخ البخاري ، قال : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى (٣) .

فهذا الكلام كاف في بيان عقيدة الحافظ ابن كثير - رحمه الله - وترجيحه مذهب السلف على مذهب الخلف في العقيدة .

وقد أشار إلى انتماء ابن كثير لتلك المدرسة كل المترجمين له من القدماء والمحدثين (٤)

منزلته عند أهل العقائد الباطلة وسعة اطلاعه :

كان للحافظ منزلة عند الناس كبيرة . يثق به أنصاره وغير أنصاره ، وموافقوه ومخالفه . بل كان موضع الثقة والاستشارة عند الذميين ، حتى ليستشيره بعض رؤسائهم ، في أخص شؤونهم الكنيسية ، فإنه يذكر قصة طريفة ، في استشارة أحد البتاركة إياه في ذلك يحسن أن نذكرها بعبارته بحروفها:

فقال - في حوادث سنة ٧٦٧ : (وحضر عندي يوم الثلاثاء تاسع شوال ، البترك بشارة ، الملقب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشام بايعوه على أن يجعلوه بتركا بدمشق عوضا عن البترك بأنطاكيا . فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم فإنه لا تكون البتاركة إلا أربعة : بالإسكندرية ، وبالقدس ، وبأنطاكيا ، وبرومية ، فنقل رومية إلى اسطنبول، وهي

() سورة الشورى ، الآية (١١) !

() هو عبد الله نعيم بن حماد الخزاعي المروزي ، كان عالما بالفرائض ، من أئمة أهل السنة والجماعة ، وأول من جمع

المسند في الحديث ، (ت٢٢٨هـ) . - ترجمته في : التهذيب (٤٥٨/١٠) ، الميزان (٢٦٧/٤)

() تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير (٤٢٢/٣) .

() انظر مصادر ترجمته بصفة عامة .

القسطنطينية، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن أنطاكية . وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف ، لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى أصحاب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية . وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك اسطنبول ، وقرأها على من لفظه - لعنه الله - ولعن المكتوب إليهم أيضا !! وقد تكلمت معه في دينهم ، ونصوص ما يعتقد كل من الطوائف الثلاثة وهم : الملكية ، واليعقوبية ، - ومنهم الإفرنج والقبط - والنسطورية فإذا هو يفهم بعض الشيء . ولكن حاصله أنه حمار ، من أكفر الكفار! لعنه الله) (التاريخ ١٤ : ٣١٩-٣٢٠) .

ولا يعجبني القارئ من أن يكون ابن كثير أعلم بعقائد طوائف النصارى من أحد بتاركتهم ، بل إنه يذكر عن ذلك البترك ميخائيل الذي تكلم معه أنه يفهم بعض الشيء - لأن ابن كثير رحمه الله من أوسع العلماء اطلاعا على أقوال أهل الملل والنحل ، خاصة مذاهب النصارى . كما يدل عليه كلامه في مواضع كثيرة في التفسير والتاريخ . بل يكفي في الدلالة على سعة اطلاعه في ذلك أن يكون تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ألف موسوعته النفيسة في ذلك : كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . وهو مطبوع معروف .

انتقادات :

موقفه من المولد النبوي :

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٣٦/١٣ طبعة مكتبة المعارف مانصه : الملك المظفر أبو سعيد كوكيري، أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً عاقلاً عادلاً، رحمه الله وأحسن مثواه... إلى أن قال: وكان يصرف في المولد ثلاثمائة ألف دينار. اهـ

وقد تقدم في مؤلفات ابن كثير رسالة في المولد وقد ألف هذا المولد تلبية لطلب الشيخ عماد الدين أبي بكر بن حسن ، المؤذن بالجامع المظفري بدمشق (وهو جامع الحنابلة بالصالحية اليوم) فذكر ابن كثير فيه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار جده وأبيه وأمه ، وصفة مولده ، وأخبار رضاعه ، وصفاته ، وشمائله ، وأخلاقه ، ثم ختمه ببعض الآيات المنسوبة إلى عمي الرسول صلى الله عليه وسلم : أبي طالب ، والعباس ابن عبد المطلب .

وكان منهج ابن كثير رحمه الله تعالى في جمع الموضوعات السابقة من الأحاديث والآثار المنقولة المقبولة عند الحفاظ المتقنين ، والأئمة الناقدين ، مثل : مسند الإمام أحمد ، وصحيح البخاري ومسلم ، وسنن الترمذي ، ودلائل النبوة للبيهقي ، والمستدرک للحاكم ، وسيرة ابن إسحاق ، والروض الأنف للسهيلي (١).

قال الدكتور المنجد : "وتأليف ابن كثير هذا يدلنا على أنه كان يجيز قراءة المولد الشريف ، ولا يرى حرجا فيه لذلك كتب هذا المولد سهلا ، وموجزا ، فيه المفيد " (٢).

وجاء عنوان الرسالة الداخلي بحسب المخطوطة : "مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعه" (٣).

قصة العتي :

قال ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) :

يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : (لوجدوا الله توابا رحيمًا)

(١) مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تقديم المنجد ص ١٣ . وانظر : ابن كثير ، حياته ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ . ٢

(٣) المرجع السابق ص ١١ . ٣

وقد ذكر جماعة منهم : الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه " الشامل " الحكاية المشهورة عن العتبي ، قال : كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيفا) وقد جئتك مستغفرا لذني مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكرم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له .١.هـ
ولم يعلق الحافظ عليها بشيء وكان ينبغي ألا يهمل التعليق عليها لبطلانها سندا وامتنا وإيهامها معنى باطلا لايراد من الآية فالآية خاصة بحياته صلى الله عليه وسلم وينظر للتفصيل ماذكرناه في ردنا على محمد علوي المالكي .

النقل عن الزمخشري والرازي :

كما قد يستنكر عليه البعض نقله عن الزمخشري والرازي وتلقيه لهما بألقاب الإمامة ونحوها مع ما هو معروف عنهما من الانحراف العقدي ولايتسع المجال للتفصيل في ذلك .

مذهبه الفقهي :

ذكرت بعض المصادر في ترجمة الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أنه حفظ في صغره كتاب التنبيه () وهو أهم مختصر في الفقه الشافعي في ذلك العصر .

() انظر : إنباء الغمر (١/٣٩) ، وشذرات الذهب (٦/٢٣١) ، وذيل تذكرة الحفاظ (ص٥٧) ، والبدر الطالع . (١٥٣/١) .

كما أثبت كثير من المترجمين له نسبته إلى المذهب الشافعي () ، بل أثبت ابن كثير نفسه هذه النسبة (الشافعي) في اسمه عندما أشار إلى تاريخ ولادته في حوادث سنة (٧٠١ هـ) ، من كتابه (البداية والنهاية) () وهذا يدل على أن ابن كثير - رحمه الله - نشأ على دراسة الفقه على المذهب الشافعي ، وأنه عد بسبب ذلك من فقهاء الشافعية في عصره () . ولا يعني هذا أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - كان شافعيًا على غرار متفقيه المذاهب . كلا! فقد علم من سيرة ابن كثير العلمية أنه كان فقيهاً محدثاً ، وأنه أحد رواد المدرسة السلفية في عصره ، وسمة أصحاب هذه المدرسة نبذ التقليد والتعصب المذهبي ، والأخذ في الأحكام الفقهية بما يؤيد الدليل حتى وإن خالف المذاهب الأربعة ، ولذا نجد في ترجمته - كما سبق ذكره - أنه كان يفتي برأي شيخه ابن تيمية في مسألة الطلاق الثلاث ، لصحة الحديث عندهما مع أن ذلك على خلاف المذاهب الأربعة .

وصحبه وملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي أفادته أعظم الفوائد ، في علمه ودينه ، وتقوية خلقه ، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة .

ولم يكن ممن يخذع في الفتاوى التي ظاهرها قصد الاستفتاء ، وورائها الأعيب سياسية ، أو أغراض شخصية غير سليمة وإن كان المستفتي من الأمراء أو ممن يخشى بأسه ، فهو يقول في حوادث سنة ٧٦٢: " وجاءتني فتيا صورتها : ماتقول السادة العلماء لملك اشترى غلاما ، فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ، ثم إنه وثب ، على سيده فقتله ، وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه فيقتله ؟ فهل له الامتناع منه؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيدا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين .

فهذا استفتاء صيغ في صورة توحى بالجواب . وباطنه أن ذاك الأمير السائل يريد أن يمتنع على الملك الذي دعاه للحضور عنده ، ويريد أن يثير فتنة وقتالا على صاحب الأمر لعله

() انظر : المصادر السابقة . ١

() (٢٢/١٤) . ٢

() ترجم له ابن قاضي شبة في^٣ (طبقات الشافعية) (٢/٢٣٧) .

يصل إلى ما وصل إليه ذاك من الملك ، كعادة الأمراء من الممالك في ذلك العهد . ولكن ابن كثير يجيبه جوابا حكيما يكشف عن بعض مقصده ، ويضمن جوابه النصيحة الواجبة في مثل هذه الحال ، فيقول فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة في ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ! وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة ، والأمراء عليه - فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولا ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه (التاريخ ٢٨١:١٤-٢٨٢) .

وكذلك فإن الإفرنج قد غدروا بمدينة الإسكندرية ، وأشاعوا فيها الرعب ، وارتكبوا الفظائع غدرا ، وذلك : أنهم وصلوا إليها من البحر يوم الأربعاء ٢٢ محرم سنة ٧٦٧ (فلم يجدوا لها نائبا ولا جيشا ، ولا حافظا للبحر ولا ناصرا ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار ، بعدما حرقوا أبوابا كثيرة منها . وعاثوا في أهلها فسادا ، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ، ويأسرون النساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير المتعال . وأقاموا يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء . فلما كان صبيحة الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج - لعنهم الله - عنها ، وقد أسروا خلقا كثيرا يقاربون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريرا وبهارا وغير ذلك . ما لم يجد ولا يوصف . وقدم السلطان والأمير الكبير بيلغا ظهر يومئذ وقد تفارط الحال ، وتحولت الغنائم كلها إلى الشوائن بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله ، والاستغاثة به وبالمسلمين - ما قطع الأكباد وذرفت به العيون وأصم الأسماع . فإننا لله وإننا إليه راجعون . ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جدا ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر ، فتباكى الناس كثيرا . فإننا لله وإننا إليه راجعون .

فهذه وقعة شنيعة غادرة من الإفرنج - كعادتهم - والنفوس تتقزز من مثلها ، وتثور من أجلها والملوك والأمراء الظالمون ينتهزون فرصة تعبئة الرأي العام الإسلامي - وثورته من أجل هذا الغدر ، وغضبا لهذه الفظائع - ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، وظاهر أمرهم الانتقام وباطنه السلب والنهب . ولكن الحافظ ابن كثير يلزم جانب الحق والعدل ، ولا يرضى بالظلم ، ولو كان ظاهره الانتقام والثأر للمسلمين ، فيقول : (وجاء المرسوم الشريف من الديار

المصرية، إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خرب من الإسكندرية ، وعمارة مراكب تغزو الإفرنج فأهانوا النصارى ، وطلبوا من بيوتهم بعنف . وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا ما يراد بهم ، فهربوا كل مهرب ، ولم تكن هذه الحركة شرعية ولا يجوز اعتمادها شرعا .

وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر أي سنة ٧٦٧ إلى الميدان الأخضر ، للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ ، بعد الفراغ من لعب الكرة فرأيت منه أنسا كبيرا ، ورأيته كامل الفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة . فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى ، يعني المرسوم بالمصادرة . فقال : إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ! فقلت له : هذا مما لا يسوغ شرعا ، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا . ومتى كانوا باقين على الذمة ، يادون إلينا الجزية ملتزمين باللذة والصغار ، وأحكام الملة قائمة — لا يجوز أن يأخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية . ومثل هذا لا يخفى على الأمير ! فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ؟ ولا يمكنني أن أخالفه ؟ ! .

ثم ذكر أن نائب السلطنة كتب بذلك إلى الديار المصرية . ولكن هذا النائب لم يكن عند قوله ، فنفذ المرسوم ، وطلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيستهم إلى بين يديه ، وهم قريب من أربع مائة ، فحلفهم : كم أموالكم ؟ وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكانت هذه المصادرة الظالمة في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧ . ثم قال الحافظ — في حوادث شهر ربيع الآخر : وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني ، بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهم مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهم ، وإن كان الجميع ظلما ، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ في الظلم (التاريخ ١٤ : ٣١٤ - ٣١٥ ، ٣١٨) .

فانظر إلى الإمام العظيم ، الذي يقف عند حدود الشرعية المطهرة ، يقيم ميزان العدل الصحيح كما عرف في دينه الحنيف ، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمة من أمراء طغاة جائرين كما ألم واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين من غدر النصارى وبغيهم ، وشتان هذا وذاك ، ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل .

ابن كثير والجهاد في سبيل الله :

ألف ابن كثير رسالة الجهاد لطلب الأمير سيف الدين منجك^(١) في نيابته الثانية لدمشق (٧٧١-٧٧٥هـ) في بيان ما تيسر من الكتاب والسنة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور ، وحض الناس على مقاومة الخطر الفرنجي الذي استجد تهديده منذ هجومهم على الإسكندرية سنة ٧٦٧هـ — ، فلي ابن كثير هذا الطلب وقام بالواجب الديني في هذا الخصوص^(٢).

وتتضمن طبعة الرسالة مقدمة مطولة من الدكتور عسيلان ، عرض فيها تمهيداً عن الجهاد في سبيل الله ، وفضله وحقيقته ، والحاجة إليه (ص ٩) ثم ترجمة عن الحافظ ابن كثير (ص ٢١-٣٤) ثم دراسة عن كتاب الجهاد (ص ٣٩) ثم عرف بمخطوطة الكتاب (ص ٤٧) وبدأ الكتاب (ص ٦١-٩٨) ثم جاءت المصادر والمراجع والفهارس .

أما طبعة دار الرشاد فقدم الدكتور زينهم مقدمة (ص ٥) عن الحروب الصليبية التي بدأت عام ١٠٩٧م ، ثم عرض باختصار لهجوم المغول من الشرق (ص ١٧) ثم رسم جدولاً عن تاريخ بعض الأسماء والأعلام اللامعة والأحداث الهامة في العالم الإسلامي ، وفي أوروبا والغرب (٢٠-٢٢) وعرف بابن كثير (ص ٢٤-٢٥) ثم جاء بنص الرسالة (ص ٢٦-٤١) وأعقبها مصادر التحقيق (ص ٤٣-٤٨) وكشاف عام عن الأعلام الجغرافية والطوائف والآيات والأشعار والأحاديث وأسماء الكتب الواردة بالنص (ص ٤٦-٥٣) ثم الفهرس العام (ص ٥٤-٥٥) .

ولعل ابن كثير اختصر هذه الرسالة من كتاب سابق أطول منه ، لأنه يقول في مقدمته: "وقد كنت جمعت في ذلك مجلداً بسيطاً فاختصرت منه منهجاً وسطاً وسيطاً"^(٣).

وهذا يدعم القول بأن ابن كثير صنف كتاباً بعنوان: "أخبار هجوم الفرنس على الاسكندرية" الذي لم يشر إليه أحد من المترجمين ، لقرب موضعه من هذه الرسالة ، لكن يوجد كتاب

(١) توفي الأمير منجك سنة ٧٧٦ هـ .

(٢) الاجتهاد في طلب الجهاد ٦٢ طبعة مؤسسة الرسالة .

(٣) الاجتهاد في طلب الجهاد ص ٦٢ .

مطبوع بمصر بهذا العنوان ، وموجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة قديما ، ولم يبين أحد مضمونه ، فلعله أصل للرسالة أو نفس الرسالة (١) .

وعرض ابن كثير في رسالة (الاجتهاد في طلب الجهاد) لأهمية الجهاد ، وأورد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية في فضل الجهاد ووجوبه ، ليحث الناس على مقاومة الأعداء ، والدفاع عن أرض المسلمين ثم ذكر هجوم الفرنج على الإسكندرية ، وانتقال بعضهم إلى طرابلس ، وبيان الفظائع التي أنزلوها بالآمنين قتلا وأسرا وتشريدا ، حتى هجموا على مدينة إياس ، فقاومهم المسلمون هناك ، ورجع الفرنج عنها ميؤوسين .

وعرض ابن كثير أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين خلال القرن الثامن الهجري الذي عاش فيه ، وبين ما أعده الله تعالى من الأجر العظيم للمجاهدين ، وأورد ثلاثة عشر حديثا في الموضوع ، وأشار إلى جهود الأمير منجك في ذلك .

ثم استعرض ابن كثير جهود المسلمين الأوائل للجهاد في سبيل الله في بلاد الشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافة الراشدين حتى دانت لهم البلاد شرقا وغربا .

ثم تعرض لاستيلاء الفرنج على بيت المقدس وقيام صلاح الدين الأيوبي بالجهاد ضدهم ، حتى انتزعه من أيديهم ، واسترجع البلاد المجاورة من غزة ونابلس وعجلون والغور والكرك والشوبك وصفد ، ثم تعرض للصراع المرير بين المسلمين والفرنج حول مدينة عكا .

وأخيرا بين ابن كثير أن عزة أمة المسلمين بدينها ، وتأيد الله لها ، والبشري ببقاء بيت المقدس في يدها ما دامت تطبق الإسلام ، وتعلي شأن الجهاد ويسرد الأدلة على ذلك ، ويختم كتابه بقوله : "وكذلك فيما ذكرنا دليل على أن مدينة دمشق لا تزال دار إيمان وأمان وقرار حتى ينزل عيسى صلوات الله وسلامه عليه " (٢) .

كان ابن كثير يرمي في سياق بعض الأحداث التاريخية إلى بيان عزة المسلمين وقوتهم ، ومنعتهم ، لبث روح الثقة في النفوس ، ورفع المعنويات ، وتذكير المسلمين بسيرة أجدادهم ،

(١) ابن كثير ، حياته ص ١١٤ .

(٢) الاجتهاد في طلب الجهاد ص ٩٧ .

والتزامهم بمنهج الله ، ورفع راية الجهاد في سبيل الله ، فحقق الله لهم النصر والعزة والسيادة في الكون (١).

وفاته :

وكان - رحمه الله - قد أضر في آخر عمره ثم مات يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ٧٧٤ هـ عن ٧٤ عاما بدمشق (٢) ، وقد قيل في تحديد تاريخ اليوم غير ذلك (٣) . وقال ابن ناصر : وكانت له جنازة حافلة مشهورة . ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق (٤) . وقد رثاه بعض تلاميذه بقوله :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبید غزير

ولو مزجوا ماء المدامع بالدماء لكان قليلا فيك يا ابن كثير

وهكذا فارق الإمام الحافظ ابن كثير الحياة بعد أن قدم أعمالا جليلة وعلوما كثيرة ينتفع بها من بعده ، ألا رحم الله ابن كثير رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا وإياه في دار كرامته يوم لقائه ، - آمين - .

الكتب المؤلفة في ابن كثير خاصة :

ابن كثير حياته ومؤلفاته للدكتور مسعود الرحمن خان الندوي نشر مركز الدراسات الآسيوية الغربية _ عليكره _ الهند .

ابن كثير كمؤرخ _ نفس المؤلف والدار .

(١) الاجتهاد ، المقدمة ص ٣٨ .

(٢) طبقات المفسرين للدودي (١١١/٢) ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردى (١٢٣/١١) .

(٣) مفتاح السعادة (٢٥٢/١) .

(٤) انظر : الرد الوافر (ص ٩٢) .

والكتابان عبارة عن رسالة دكتوراه للمؤلف بعنوان : دراسة لابن كثير كمؤرخ في ضوء كتابه
البداية والنهاية في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند وقد فصل بينهما
عند الطباعة .

الإمام ابن كثير المفسر . د. مطر أحمد مسفر الزهراني رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة
المكرمة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة ١٤٠٢ هـ ولم تطبع بعد .

ابن كثير الدمشقي : الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه . للدكتور محمد الزحيلي _ دار القلم
بدمشق .

كما تعرضت الكتب التي صنف في دراسة منهجه في التفسير أو بعض ما تميز به للترجمة له
وكذلك مؤلفاته التي حققت عرج محققوها على حياته وإلقاء الضوء على جوانب منها وسوف
يأتي ذكر بعض هذه الدراسات عند حديثنا عن منهج الحافظ في تفسيره ودراسة النسخ
المطبوعة .

مصادر ترجمة ابن كثير

البداية والنهاية للحافظ نفسه

تذكرة الحافظ لابن عبد الهادي (مخطوط)

المعجم المختص للذهبي (مخطوط)

ذيل تذكرة الحافظ لأبي المحاسن الحسيني

الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي

الدرر الكامنة لابن حجر

إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي

ذيل تذكرة الحافظ للسيوطي (ولم يذكره في طبقات المفسرين)

الدارس في تاريخ المدارس للنعمي

طبقات المفسرين للداوودي
مفتاح السعادة لطاش كبري زادة
كشف الظنون لحاجي خليفة
شذرات الذهب لابن العماد
إيضاح المكنون وهدية العارفين للبغدادي
البدر الطالع للشوكاني
الأعلام للزركلي
التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي
معجم المؤلفين لكحالة
الكتب المصنفة عن ابن كثير خاصة
مقدمات كتب ابن كثير المطبوعة
فهارس المكتبات

الفصل الثاني

دراسة

لتفسير الحافظ ابن كثير

ومباحث متعلقة به

أولاً : التعريف بالتفسير وطريقة مؤلفه فيه :

لقد عني الباحثون بتسليط الضوء على التعريف بهذا التفسير العظيم ومنهج مؤلفه فيه واختياراته عناية فائقة ومن تلك الدراسات ما تقدم ذكره في ترجمة الحافظ عن كتاب الإمام ابن كثير المفسر للدكتور مطر أحمد مسفر الزهراني ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٩٨٢ ، رسالة ماجستير .

ونقل هنا مبحث الشيخ أحمد شاکر عن منهج الحافظ ابن كثير :

قال الشيخ أحمد محمد شاکر : " فإن تفسير الحافظ (ابن كثير) أحسن التفاسير التي رأينا ، وأجودها ، وأدقها ، بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري " .
"وقد حرص الحافظ ابن كثير على أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ثم بالسنة الصحيحة التي هي بيان لكتاب الله ، ثم يذكر كثيراً من أقوال السلف في تفسير الآي " .

"وإنه ليذكر الأحاديث - في أكثر المواضع - بأسانيدھا من دواوين السنة ومصادرھا ، وكثيرا ما يذكر تعليل الضعيف منها ، ولكنه يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحاح ، وإن ذكر معها الضعاف " (١) .

ويبين الشيخ شاکر أهمية هذا التفسير من الناحية الحديثية ، فقال : "فكتابه - بجانب انه تفسير للقرآن - معلم ومرشد لطالب الحديث ، يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون ، وكيف يميز الصحيح من غيره، فهو كتاب - في هذا المعنى - تعليم عظيم ، ونفعه جليل كثير " (٢) .

ثبت لدينا من منهج ابن كثير في تفسيره اعتماده الكبير والواسع على الأحاديث النبوية القولية والفعلية ، فجاء تفسيره زاخراً بالأحاديث ، ومحشواً بالأخبار والآثار ، ومترعاً بالروايات العديدة ، وهذه الأحاديث وردت في تفسير الآيات الكريمة ، فهي مبثوثة في جميع التفسير من أوله وآخره ، مما يجعل إحصاءها أو الرجوع إليها ، أو الاستفادة منها ومن

(١) عمدة التفسير ٥/١ .

(٢) عمدة التفسير ٦/١ .

الدراسات التي قدمها ابن كثير عن الروايات ، والرجال ، والعلل ، والأسانيد والترجيح وغيره ، صعبا ومرهقا .

لذلك قامت ثلة من الأساتذة الأفاضل باستخراج الأحاديث ، وجمعها بشكل مستقل ، وفهرستها أبجديا بحسب أولها ، ليسهل حصرها ، والانتفاع بها ، ومراجعتها .
رسم ابن كثير منهجه وحدد أصوله في مقدمة التفسير . وهذا المنهج قد وضعه شيخه ابن تيمية من قبل ، بل إن أصول هذا المنهج من صياغة ابن تيمية نفسه ، كما يتبين ذلك من "مقدمته في أصول التفسير" .

وقد بدأ ابن كثير مقدمة تفسيره بعد خطبة الكتاب ببيان طرق وأصول التفسير ، فبدأ بالأصل الأول وهو :

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر .
وتجد هذا الأصل في مقدمة التفسير لابن تيمية بنفس العبارات مع تغيير طفيف .
وقد طبق ابن كثير هذا المنهج خير تطبيق ، فنجده قد جمع الآيات المتعلقة في الموضوع الواحد :

فهو يحشد في تفسيره بالقرآن الآيات المماثلة التي يجمعها وحدة الموضوع ، أو تندرج تحت قاعدة عامة يلتزم بها القرآن الكريم .

ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ قال : يعني أيظن هؤلاء المغرورون أن مانعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟ كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : ﴿ نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾ لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك إستدراجا وإنظارا وإملاء ، ولهذا قال : ﴿ بل لا يشعرون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ﴾ وقال تعالى : ﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ﴾ الآية . وقال : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ إلى قوله :

﴿عنيذ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا ﴾ الآية . والآيات في هذا كثير .

٢- تفسير القرآن بالسنة .

وقد صور ابن كثير هذا الأصل بقوله " فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي - رحمه الله تعالى - : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ، قال الله تعالى : ﴿إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون ﴾ ولهذا قال رسول الله ﷺ " ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه " يعني : السنة . والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي ، كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن . وقد استدلل الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك .

فالغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجده ؟ قال : أجتهد برأبي قال : فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله " . وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد كما هو مقرر في موضعه . وهذا الأصل تراه بألفاظه عند ابن تيمية .

والأمثلة على تفسير القرآن بالسنة لا حصر لها حتى ليتحير المرء في اختيار بعضها ؛ لكثرتها أولا ، ولطولها ثانيًا ، ولتعدد جوانب الاستشهاد بها ثالثًا ، ومن ثم ليكون معروفًا أن النماذج التي نسوقها لاتعطي رؤية كاملة وتامة لتفسير القرآن بالسنة عند ابن كثير ، ومن أراد صورة مكتملة فليرجع إلى التفسير نفسه ، فقد يصل الأمر بابن كثير أن يفسر بعض الآيات بما يزيد على خمسين حديثًا كما فعل عند تفسيره لآية الإسراء ، ونورد هنا بعض الأمثلة القليلة

والقصيرة والتي تصور إلى حد ما مدى إفادته من السنة في التفسير ، ومدى ارتباطه بها ، إذ قد توضح مبهمًا ، أو تخصص عام أو تقييد مطلقًا ، أو تفصل مجملًا وما إلى ذلك .

والسنة النبوية حين تفسر الآية تعطي المعنى الصحيح ، فكثير من المفسرين - ومنهم مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ﴾ أن الضمير يرجع إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقال مجاهد في رواية أخرى له : الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر ﴿ وفي هذا ﴾ يعني القرآن ، وعلق ابن كثير على هذا فقال : وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال : ﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر ، وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحرار والرهبان فقال : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ أي من قبل هذا القرآن ﴿ وفي هذا ﴾ . ثم ذكر حديثًا رواه النسائي عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال : " من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم " . قال رجل : يارسول الله وإن صام وصلى قال : " نعم ، وإن صام وصلى ، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله " .

وقد يستشكل على المرء معنى آيه بجانب حديث يوهم التعارض معها فيبدد الحافظ ابن كثير هذا الإشكال بحجج قوية .

من ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ﴾ فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية ، وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي ، فقال : أي خبيث ! على محمد ﷺ ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم . فقال رسول الله ﷺ (لا تفضلوني على الأنبياء ؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور ، فلا تفضلوني على الأنبياء) . وفي رواية : (لا تفضلوا بين الأنبياء) فالجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالفضل . وفي هذا نظر .

الثاني : أن هذا من باب الهضم والتواضع .

الثالث : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند الخصم والتشاجر .

الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصية .

الخامس : ليس مقام التفضيل إليكم ، وإنما هو إلى الله عز وجل ، وعليكم الانقياد والتسليم له ، والإيمان به .

وقد ذكر بعض هذه الوجوه في مواضع أخرى .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

قال ابن كثير في ذلك : (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدري بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم .

وذكر روايتين عن ابن مسعود قال في أحدهما : والذي لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته .

ومن هؤلاء البحر الحبر عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ حيث قال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) وقد ذكر أن ابن مسعود قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه - في سنة اثنين وثلاثين على الصحيح ، وعمر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود . وذكر أبو وائل أن عليا استخلف عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرا في خطبته سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا . وانظر هذا الأصل عند ابن تيمية تجده منقولا عنه .

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين .

وهذا هو الأصل الرابع للتفسير وطرقه ، وفيه يقول ابن كثير :
إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة
في ذلك إلى قول التابعين كمجاهد بن جبر ، فإنه كان آية في التفسير . ونقل عن محمد بن
إسحاق عن مجاهد قوله : عرضت على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه
عند كل آية منها وأسأله عنها . وقال سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك
به .

ومن التابعين سعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء ابن رباح ، والحسن
البصري، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية، والربيع بن أنس ، وقتادة ،
والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم ، وهؤلاء تذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في ألفاظ
يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا ، وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن
الشيء بلازمه أو ينظره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في أكثر
الأمكان ، فليتفطن لذلك والله الهادي .

وأورد ابن كثير اعتراضا ذكره شعبة بن الحجاج وغيره قال فيه : أقوال التابعين في الفروع
ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير؟! وأجاب ابن كثير - نقلا عن ابن تيمية -
يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح . أما إذا اجتمعوا على
الشيء فلا يرتاب في كونه حجة . فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا
على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال
الصحابة في ذلك .

٥ - لا يختص بالتفسير الرسول ﷺ أو السلف الصالح :

يتعرض ابن كثير قبل هذا الأصل لموضع تفسير القرآن بالرأي فيقول : فأما تفسير القرآن
بمجرد الرأي فحرام ، وذكر رواية عن ابن عباس عن النبي ﷺ : " من قال في القرآن برأيه ،
فليتبوأ مقعده من النار " وبين أن هذا الحديث قد أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وقال
الترمذي : حديث حسن .

وروى ابن جرير عن جندب أن رسول الله ﷺ قال : " من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ " وعلق ابن كثير على هذا الحديث فقال : وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطعي ، وقال الترمذي : غريب .

وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل ، وفي لفظ لهم : " من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ " ، أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به ، وسلك غير ما أمر به . والله أعلم .

ثم يقول : " وهكذا سمى الله القذفة كاذبين فقال : ﴿ فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ فالقاذف كاذب . ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر ؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ، ولو كان أخبر بما يعلم ؛ لأنه تكلف ما لا علم له به ، والله أعلم .

ويذكر ابن كثير روايات كثيرة عن جماعة من السلف الصالح تفيد تخرجهم عن التفسير .

منها ما روي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم .

وأن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا هو التكلف يا عمر .

وعلق على هاتين الروایتين فقال : وهذا كله محمول على أنهما - رضي الله عنهما - إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نباتا من الأرض ظاهر لا يجهل .

أما رواية ابن أبي مليكة فقد قال فيها : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة؟ فقال له ابن عباس : فما يوم ؟ ﴿ كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فقال له الرجل : إنما سألتك لتحدثني . فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله في كتابه ، الله أعلم بهما . فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول في القرآن شيئا .

وذكر عنه أيضا أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن . وسئل ابن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألني عن القرآن ، واسأل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء . يعني عكرمة .

وعن عبد الله بن عمر العمري قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .
ويعلق ابن كثير على هذه الآثار فيقول : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه ، فأما من تكلم بما يسلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه .

ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة ، لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق : " من سئل عن علم فكتمه أَلجم يوم القيامة بلجام من النار " .

وذكر ابن كثير عن الطبري رواية من طريق جعفر بن محمد الزبيري ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : ما كان النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيات بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام .

قال ابن كثير : وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل .

وهذه عبارة الطبري من تفسيره : " أما الخبر الذي روى عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئا إلا آيات تعد ، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول ﷺ ، وذلك بتفصيل مجمل ما في آيه ، من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه ، وسائر معاني شرائع دينه ، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل ، وللعباد إلى تفسيره الحاجة . لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسول الله ﷺ ، وما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن من سائر حكمه الذي جعل بيانه خلقه إلى رسول الله ﷺ ، فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان رسول الله ﷺ ، ولا يعلمه رسول الله ﷺ إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحيه إليه إما مع جبريل أو مع من شاء من رسله إليه ، فذلك هو الآي التي كان رسول الله ﷺ يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه وهن لا شك أي ذوات عدد . ومن آي القرآن ما قد ذكر أن الله جل ثناؤه

استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا ، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده وأنه لا يعلم تأويله إلا الله ، فأما ما لا بد للعباد من تأويله بين الله ذلك له ، بوحيه مع جبريل ، فذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم ؛ فقال جل ذكره : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله ﷺ أنه كان لا يفسر من القرآن شيئا إلا آيا تعد هو ما يسبق إليه أوهام أهل البدع من أنه لم يكن مفسر من القرآن إلا قليل من آيه واليسير من حروفه ؛ كأنه إنما أنزل إليه ﷺ الذكر ليترك للناس ما أنزل إليه ، لا ليبين ما أنزل . وفي أمر الله جل ثنائه نبيه ﷺ ببلاغ ما أنزل إليه ، وإعلامه إياه إنه ما أنزل ليبين للناس ما نزل ، وقيام الحجة على أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به ، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود لقوله : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن - : ما ينبئ عن خطأ من ظن أو توهم أن معنى الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئا إلا آيات تعد ، وأنه لم يكن يبين لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما في الخبر الذي روي عن عائشة من العلة ، التي في إسناده ، التي لا يجوز الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفسادها في الدين لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري .

ويوضح ابن كثير هذه العلة التي أشار إليها ابن جرير الطبري فيقول :

(إنه حديث منكر غريب ، وجعفر هذا هو ابن محمد ابن خالد ابن الزبير بن العوام القرشي الزبيري . قال البخاري لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث) وعلق على تأويل الطبري لحديث عائشة فقال : (وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث ، فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته كما صرح بذلك ابن عباس . قال : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله .

٦- نقد الإسرائيليات :

عرض ابن كثير هذا الأصل كما فعل شيخه ابن تيمية ، غير أنه فصل ووضح موقفه من الإسرائيليات بحيث يعتبر - في هذا الأصل - قد أضاف جديدا .

لقد نقل ابن كثير عن كتب السنة الصحيحة في مواضع مختلفة من تفسيره - عدة أحاديث تفيد النهي الصريح عن الأخذ من أهل الكتاب .

فذكر عن الإمام أحمد ، فيما رواه عن عبد الله بن ثابت قال : (جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إني مررت بأخ لي يهودي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت : قلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، قال: فسري على النبي ﷺ وقال : (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتهم ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين) .

وذكر عن الحافظ أبي يعلى فيما رواه عن جابر قال رسول الله ﷺ : (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما اتباعي) .

وفي رواية للإمام أحمد ، عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال : فغضب وقال : (أمتهوكون فيها يابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) .

وقد قسم ابن كثير الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام فقال :

أحدها : ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا

نكذبه ، ويجوز حكايته .

ويتحدث عن القسم الثالث في موضع آخر فيقول : ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون عنه في روايته بقوله عليه السلام : (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) .

ويستطرد في هذا الشرح فيقول : وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا ، ويأتي من المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعددهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتييل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهم الله تعالى في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم . ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل ربي أعلم بعدتكم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى حكى منهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد إلى أن الإطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال في مثل هذا : ﴿قل ربي أعلم بعدتكم﴾ بأنه لا يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه ، فلهذا قال : ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن تنبه على الصحيح منها ، وتبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فتشتغل به عن الأهم فالأهم .

فأما من حكى خلافا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه عن الصحيح في الأقوال فهو ناقص أيضا ، فإن صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوال متعددة لفظا ، ويرجع

حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيع الزمان ، وتكثر من ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور ، والله الموفق للصواب .

ونخرج من هذا النص مما يلي :

١- أن ما أخذ عن أهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢- أن هذا المروي لا فائدة فيه .

٣- كثرة الخلاف في هذه المرويات .

٤- وجوب استيعاب الأقوال في حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والباطل وذكر فائدة وثمرة الخلاف

٥- عدم إثارة الخلاف فيما لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكد ابن كثير حرصه على الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من ضياع الوقت ، وما اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾ :

وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب ، وهو رضيع ، وأنه خرج بعد أيام ، فنظر إلى الكواكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وماخالف شيئاً من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له بما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم ، لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة .

والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة) .

وموضوع الإسرائيليات سوف نعود له مرة أخرى في مبحث مستقل إن شاء الله .

ونضيف هنا :

أن الحافظ ابن كثير يبدو أنه كتب الكتاب بزيادات ثم قام بتنقيحه وحذف الزيادات منه ومن ذلك في فضل السبع الطول فقد جاء هاهنا زيادة في العتيقة : (وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بعث بعثا وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له اذهب فأنت أميرهم وصححه الترمذي . ١. هـ) وليس هذا المكان المناسب لذكر هذا الحديث وهو مكرر وقد سبق في مكانه المناسب .

كما يلاحظ أن الحافظ ابن كثير يعتمد في تفسيره قراءة أبي عمرو البصري وسوف يأتي أثناء التحقيق ما يدل على ذلك وهو يعرض أحيانا القراءات المختلفة ويوجهها .

مصادر ابن كثير في التفسير :

ننقل هنا ماكتبه أحد الباحثين في هذه الجزئية ممن استفدنا منهم في هذه المقدمة :

أولا : الكتب المقدسة :

- القرآن الكريم .
- التوراة نسختين .
- الإنجيل .

ثانيا : في التفسير وعلوم القرآن

(أ) في التفسير :

- تفسير آدم بن أبي إياس المتوفي سنة ٢٢٠هـ أو ٢٢١هـ .
- تفسير أبي بكر بن المنذر المتوفي سنة ٣١٨هـ .
- تفسير ابن أبي حاتم المتوفي سنة ٣٢٧هـ .
- تفسير أبي مسلم الأصبهاني (محمد بن بحر) المتوفي سنة ٣٣٢هـ — واسم كتابه : (جامع التأويل بمحكم التنزيل) .
- تفسير ابن أبي نجیح (عبد الله بن يسار الأعرج المكي مولى ابن عمر) .
- تفسير البغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء) المتوفي سنة ٥١٦هـ) .
واسم كتابه (معالم التنزيل) .
- تفسير ابن تيمية (تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم المتوفى سنة ٧٢٨هـ —) وهو جزء في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ﴾ .
- تفسير الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم أبي إسحاق النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧هـ) .
- تفسير الجبائي (أبي علي) المتوفى سنة ٣٠٣هـ .
- تفسير ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ) . واسم الكتاب (زاد المسير في علم التفسير) .

- تفسير ابن دحيم (أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم) المتوفى سنة ٣١٩ هـ .
- تفسير الرازي (محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبي عبد الله بن المشهور بفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وكتابه يسمى (التفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب) .
- تفسير الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨) كتابه يدعى (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .
- تفسير السدي الكبير المتوفى سنة (١٢٧ هـ-٧٤٥ هـ) .
- تفسير سنيد بن داود . المتوفى سنة (٢٢٦ هـ) .
- تفسير شجاع بن مخلد المتوفى سنة ٢٣٥ هـ .
- تفسير الطبري . المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
- تفسير عبد بن حميد . المتوفى سنة ٢٤٩ هـ .
- تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . المتوفى سنة ١٨٢ هـ .
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- تفسير ابن عطية . المتوفى سنة ١١١ هـ .
- تفسير القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ) وتفسيره يسمى (الجامع لأحكام القرآن الكريم) .
- تفسير مالك بن أنس إمام دار الهجرة . وهو جزء مجموع له .
- تفسير الماوردي (أبي الحسن علي ابن محمد بن حبيب المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) . واسم تفسيره (النكت والعيون) .
- تفسير ابن مردويه .
- تفسير الواحدي (علي ابن أحمد بن محمد بن علي أبي الحسن المتوفى سنة ٤٦٨ هـ) .
- تفسير وكيع بن الجراح . المتوفى سنة ١٩٧ هـ .

(ب) في علوم القرآن :

- (البيان) لأبي عمرو الداني (الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ابن سعيد المعروف بالداني (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) وهو حافظ محدث مفسر . واسم الكتاب " جامع البيان في القراءات السبع " ، وهو من أحسن مصنفاته يشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق قيل : إنه جمع فيه كل ما يعلمه في هذا العلم .
 - (التبيان) لأبي زكريا النووي (محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٧ هـ . أما اسم الكتاب فهو (التبيان في آداب حملة القرآن) وقد رتب على عشرة أبواب ثم اختصره وسماه (مختار التبيان) .
 - جزء في من جمع القرآن من المهاجرين للحافظ ابن السمعاني القاضي أبي سعيد عبد الكريم بن أبي بكر ، محمد بن أبي المظفر المنصور التميمي المروزي المتوفى سنة ٥١٢ هـ جمع مصاحف الأئمة .
 - شرح الشاطبية للشيخ شهاب الدين أبي شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) .
 - فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ .
 - مصحف أبي بن كعب وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن : (زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد الأنصاري) وقد توفي أبي سنة ١٩ هـ ، قيل ٢٠ أو ٢٢ أو ٢٣ هـ .
 - معاني القرآن للزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج المتوفى سنة ١١٣ هـ) .
 - الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد بن السلام .
- تعليق عام حول مصادر ابن كثير في التفسير :
- لو ألقينا نظرة فاحصة على المصادر التفسيرية التي استقى ابن كثير منها " تفسيره " فإننا يجب أن نراعى النقاط الآتية :
- ١- الطابع العام لهذه التفاسير .
 - ٢- أكثر التفاسير ذكرا عند ابن كثير .

٣- مدى صحة النقول التي نقلها .

٤- موقف ابن كثير من هذه المصادر .

والطابع العام التي تتميز به المصادر التفسيرية في تفسير ابن كثير هو التفسير بالمأثور ، ومن هنا نرى قائمة كثيرة منها ؛ كتفسير الطبري وابن أبي حاتم ، وسنيد بن داود ، وابن مردويه ، وعبد الرزاق ، ووكيع بن الجراح ... إلخ وكثير من هذه التفاسير مفقودة .

وهناك تفاسير أخرى ذات طابع خاص لكنها قليلة ؛ كتفسير الجبائي ، وأبي مسلم الأصبهاني، والزمخشري ، ولقد كان لهذه التفاسير منهج إعتزالي فسلفي أخضع الآيات والتراكم القرآنية لخدمة أهداف المعتزلة ومبادئهم ، ولا يذكر ابن كثير هذه التفاسير إلا بصدد عرض فكرة المذهب ، ثم يشرع في بيان وجهة نظرة التي كثيرا ما تعارض تلك الأفكار غير السلفية والتي تتسم بالتعصب لمذهبها .

وقد يكتفي الحافظ ابن كثير بالإشارة إلى أن تفسير (فلان) قد قال غير الحق ومن أمثلة رده على هذه التفاسير ذات النزعة الخاصة ما قاله في تفسير قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ سورة البقرة الآية (٧) تنفيذاً لرأي الزمخشري .

وأما أكثر التفاسير دورانا في تفسير ابن كثير فخمسة : تفسير ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وأبي بكر بن مردويه ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وأخص هذه الخمسة تفسير ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم ، فقد كاد يذكرهما في كل صفحة من صفحات التفسير . ولعل السبب في هذا ما سبق أن قررناه من أن هذه الكتب تحوي بين دفتيها عددا هائلا من الأحاديث والروايات والأخبار الواردة عن السلف الصالح ، وهذا يلائم منهج التفسير بالمأثور الذي آثره ابن كثير لنفسه .

لقد كانت آراء ابن كثير مستمدة من أوثق الكتب الإسلامية المعتمدة ، لكن ما موقفه من هذا الحشد الهائل من المصادر ؟ ونخص الكتب الخمسة التي سبق ذكرها وقلنا : إنه اعتمد عليها كثيرا ، هل كان موقفه مجرد (النقل) فقط ؟

الحقيقة أن ابن كثير عالم حافظ ناقد مدقق وليس مجرد نقال ، كما قيل . فإنه إذا لم يتفق مع غيره من المفسرين في بعض الآراء وجدناه يحشد عددا هائلا من الأدلة لدحض هذا الرأي أو ذاك .

من طبيعته التدرج في حدة المعارضة ، فإذا استحسن رأيا نقله بعبارة : (قال فلان) أو : (في تفسير فلان كذا) لكنه إذا خالف رأي غيره قال : (واختار فلان كذا وفيه نظر) . وإذا اشتد الخلاف درجة قال : (زعم فلان كذا) فإذا حمي الجدل وجدته يقول : (والعجب كل العجب أن يقول فلان كذا) وقد يزيد : (مع جلالة قدره) أو يقول : (وقد روى فلان خبرا عجيب منكرا جدا) وما شابه ذلك .

وهناك من المصادر التفسيرية ما لم يذكر إلا مرة أو مرتين ، كتفسير الثعلبي صاحب (العرائس) والمعروف بسرد الأخبار والروايات الإسرائيلية والقصص الخرافية ، ذكر ابن كثير رواية له عن ابن عباس وعائشة -رضي الله عنهما- تتحدث عن سحر النبي ﷺ على يد لبيد بن الأعصم الذي حصل على مشاطة النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فسحره بها فمرض رسول الله ﷺ وانتشر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ... الخ .

علق ابن كثير على هذه الرواية فقال : (هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة وفيه بعض نكارة، ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم .

وأما مدى صحة النقول التي كان ينقلها عن المصادر ، فإننا قد قمنا ببعض المقارنات بين النقل وأصله في تفسيري ابن جرير والبعوي ، وتبين أن النقول - أكثرها صحيح وأن بها بعض الزيادات التي لا تتجاوز بعض الكلمات القليلة مثل (رضي الله عنه) أو (عز وجل) وكذلك تجد بعض الكلمات الناقصة ، ولكنها قليلة .

مثال ذلك نقله ابن جرير في تفسير أول سورة الشورى .

وعلى أية حال فإن هذه الزيادة أو النقصان لا تؤثر في المعنى كثيرا ، وقد تكون هناك بعض النقول التي تجد فيها زيادة أو نقصا عن الأصل أكثر مما رأينا مما يرجع إلى تعدد النسخ واختلافها ، أو سهو بعض النساخ وغير ذلك .

ويلخص ابن كثير -أحيانا- ما ينقله عن غيره ، وهو في هذا يبلغ القمة في الأمانة حين يحافظ على النصوص وما تتضمنه من أفكار ، بحيث لا تجد في تلخيصه بعدا عن المعنى الأصلي أو تحريفا أو تبديلا ، مثال ذلك تلخيصه رأي الطبري في تفسير الآية (١٢٤) سورة البقرة .

وقد ترى الرواية الواحدة بعدة طرق فيقتصر ابن كثير - أحيانا - على إحداها ويشير إلى أن الرواية قد رويت من غير وجه ، على نحو ما فعل في روايات تفسير الآية المشار إليها آنفا .

ثالثا : كتب السنة وعلوم الحديث وشروحه :

(أ) الكتب الستة مضافا إليها مسند أحمد بن حنبل :

- الجامع الصحيح للإمام البخاري .
- صحيح مسلم .
- سنن أبي داود .
- سنن الترمذي (الجامع) .
- سنن النسائي .
- سنن ابن ماجة .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(ب) بقية كتب السنة وعلوم الحديث وشروحه :

- أحاديث الأصول للحافظ ابن كثير .
- عارضة الأحوزي في شرح الترمذي للإمام أبي بكر محمد بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ .
- الأسماء والصفات للبيهقي . أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ والكتاب يتضمن الأحاديث الواردة في أسماء الله تعالى وصفاته .
- الأربعين الطائية : (لأبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمداني المتوفى سنة ٥٥٥ هـ) . وقد ذكر فيه أنه أملى أربعين حديثا من موسوعاته الأربعين شيخا كل حديث عن واحد من الصحابة فذكر ترجمته فضائله وأورد عقيب كل حديث بعض ما شتم عليه من الفوائد وشرح غريبة وأتبع بكلمات مستحسنة وسماه (الأربعين في إرشاد السائر إلى منزل اليقين) .
- الأطراف لأبي الحجاج المزي .

- الأفراد للدارقطني أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني الشافعي المولود في دارقطن في محال بغداد (٢٠٦هـ-٩١٨م) والمتوفى (٣٨٥هـ-٩٩٥م) . أما اسم الكتاب فهو : (فوائد الأفراد) .
- الأمالي لأحمد بن سليمان النجاد (أبي بكر أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي المعروف بالنجاد - فقيه محدث توفي (٣٤٨هـ-٩٦٠م) ويبدو أن كتابه هو ما أملاه في دروسه التي كان يعقدها بعد صلاة الجمعة وكان له حلقتان في جامع المنصور ، حلقة قبل الصلاة بفتوى على الإمام أحمد ، وبعد الصلاة لإملاء الحديث ، واتسعت روايته وانتشرت أحاديثه ومصنفاته وكان رأسا في الفقه رأسا في الحديث .
- الأنواع والتقاسيم في الحديث لابن حبان الحافظ محمد بن أحمد بن حبان البستي المولود في بست من نواحي سجستان بين هراة وغزنة والمتوفى (٣٥٤هـ-٩٦٨م) .
- الثقات لابن حبان .
- جامع الأصول لابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المتوفى ٦٠٦ هـ ، جمع فيه ابن الأثير الأصول الستة : البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وله مختصر يسمى (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن الديبع الشيباني المتوفى سنة ٩٤٤ هـ .
- جامع الثوري (سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ .
- جامع المسانيد لابن الجوزي .
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .
- جزء الأحاديث التي تنهى عن إتيان النساء في أدبارهن للذهبي .
- الأحاديث الواردة في الاستغفار للدارقطني .
- جزء الأحاديث الواردة في فضل أيام العشر من ذي الحجة لابن كثير .
- جزء الأحاديث الواردة في كفارة المجلس لابن كثير .
- جزء حديث الصور لابن كثير أيضا .
- جزء الرد على حديث السجل لابن كثير كذلك .

- الخلافات للبيهقي .
- دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي : (عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي (أبي زرعة) محدث حافظ توفي (٣٦٤ هـ - ٨٧٨ م).
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني : (أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) وصاحب حلية الأولياء ، وكتابه ذات ثلاث أجزاء ذكر منها مؤلفها الأحاديث الواردة في شأن النبي ﷺ وما يتعلق بحياته ونشأته وبعثته وزواجه وغزواته إلخ .
- دلائل النبوة للبيهقي : ومواضيعه كسالفه .
- السنة للطبراني : (أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والأصغر) (٣٦٠ هـ) .
- السنة لأبي بكر ابن أبي عاصم (الحافظ أحمد بن عمرو الشيباني المتوفى ٢٨٧ هـ) .
- سنن أبي بكر الأثرم : (من أصحاب أحمد بن حنبل) واسمه أحمد بن محمد بن هانئ ، ويكنى أبا بكر . له من الكتب : كتاب السنن في الفقه ، على مذهب أحمد ، وشواهد من الحديث وكتاب التاريخ وكتاب العلل وكتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث .
- سنن أبي بكر البيهقي .
- سنن الدارقطني .
- سنن سعيد بن منصور الخراساني المتوفى ٢٢٧ هـ ، وله تفسير كما ذكر الثعلبي في الكشف .
- شرح البخاري للحافظ ابن كثير وهو من الكتب المفقودة .
- شرح مسلم للنووي .
- صحيح ابن خزيمة (محمد بن إسحاق النيسابوري المتوفى سنة ٣١١ هـ) .
- علل الخلال : أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المعروف بالخلال المتوفى ٣١١ هـ .

- المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي الحافظ أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى ٣٦٠هـ - ٩٧١م .
- المختارة للضياء المقدسي واسمه (الأحاديث المختارة) .
- المراسيل لأبي داود .
- المستخرج على البخاري للحافظ أبي بكر البرقاني أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي المتوفى ٤٢٥هـ .
- المستخرج على الصحيحين للضياء المقدسي .
- مستدرك الحاكم النيسابوري (لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمد بن نعيم الضبي النيسابوري الشهير بالحاكم المتوفى ٤٠٤هـ .
- مسند أبي بكر البزار ، أحمد بن عمرو البصري البزار المتوفى ٢٩١هـ أو ٢٩٢هـ .
- مسند أبي بكر الحميدي (الحافظ عبد الله بن الزبير المكي المتوفى ٢١٩هـ)
- مسند أبي بكر الصديق لابن كثير .
- مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي الفارسي مولى بني الزبير المتوفى ٢٠٢هـ ، وقيل ٢٠٤هـ .
- مسند أبي يعلى الموصلي (الحافظ أحمد بن علي بن مثنى الموصلي المتوفى (٣٠٧هـ - ٩١٨م) .
- مسند الحارث بن أبي أسامة (أبي محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي ١٨٦هـ - ٢٨٢هـ) .
- مسند الدارمي (عبد الله بن عبد الرحيم الدارمي السمرقندي شيخ مسلم وأبي داود والترمذي المتوفى ٢٥٥هـ - ٢٨٢هـ) .
- مسند الشافعي .
- مسند ابن عباس (رضي الله عنه) الجزء الثاني منه للحافظ أبي يعلى الموصلي .
- مسند عبد بن الحميد .
- مسند عمر بن الخطاب ، للحافظ ابن كثير .

- المسند الكبير لابن كثير (واسمه جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم السنن).
- مسند محمد بن يحيى العبدى : (الحافظ أبي عبد الله بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد العبدى المتوفى ٣٩٥هـ - ١٠٠٥م .
- مسند الهيثم بن كليب (ابن شريح الشاشي أبو سعيد المتوفى ٣٣٥هـ - ٩٤٥م وكتابه يسمى (المسند الكبير في الحديث) في مجلدين .
- مشكل الحديث لأبي جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ وقيل ٣٢٢هـ .
- مشكل الحديث لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد ٢١٣هـ - ٢٧٦هـ) .
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني .
- المطولات للطبراني .
- معجم أبي العباس الدغولي : المتوفى (٣٢٥هـ - ٩٣٧م) ، أبو العباس محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله السرخسي الدغولي) .
- معجم أبي العباس البغوي : (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ويعرف بابن بنت منيع المتوفى ٣١٧هـ ، وله المعجم الكبير ، والمعجم الصغير ، وكتاب السنن على مذهب الفقهاء .
- المعجم الكبير للطبراني .
- الموضوعات لأبي الفرج ابن الجوزي .
- الموطأ للإمام مالك .
- نوارد الأصول للحكيم الترمذي لأبي عبد الله بن محمد بن علي الحكيم الترمذي .

تعليق عام حول مصادر السنة :

يبدو لأول وهلة أن مصادر ابن كثير في الحديث كثيرة جدا وهي على وجه التحديد واحد وسبعون مصدرا ، من بينهما خمسة عشر مسندا ، وتسعة كتب من السنن ، وشرح البخاري ،

وشرح مسلم ، ومنها أيضا كتب الصحاح ، والمستخرجات ، والمستدركات ، والجوامع ، والمعاجم ، والمطولات ، وكتب متفرقة في الجرح والتعديل ، ونقد الحديث وغير ذلك .
وإذا أضفنا إلى هذا كله كثيرا من المصادر التفسيرية التي سبق ذكرها وهي تشتمل على أحاديث كثيرة فإن مصادر السنة وعلومها توازي ثلث المصادر كلها التي ذكرت في تفسير ابن كثير .

وترجع أهمية هذه المصادر إلى أن كثيرا منها قد فقد ، وليس لدينا منها نسخة مطبوعة أو مخطوطة ، ونستطيع أن نأخذ فكرة محددة إلى حد كبير عن بعضها من تلك النقول التي نقلها ابن كثير في تفسيره ، وفكرة عامة عن بعضها الآخر .
وعلي أية حال ، فإن هذه الكثرة قد خلفت وراءها عددا هائلا من الأحاديث النبوية وآراء قيمة في علم الجرح والتعديل ونقد الحديث .

رابعا : مصادره في الفقه وأصوله :

- الأحكام الكبرى للحافظ ابن كثير .
- الإرشاد في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله يوسف المتوفى ٤٧٨ هـ .
- الاستذكار لأبي عمر ابن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المتوفى ٦٤٣ هـ) .
- الإملاء للإمام الشافعي .
- الأم للإمام الشافعي .
- الأموال الشرعية لأبي عبيد القاسم ابن سلام .
- الإنجاز في علم الفرائض لابن اللبان (أبي الحسين محمد بن عبد الله ابن اللبان المصري المتوفى ٤٠٢ هـ) .
- الإيضاح في الفروع لأبي علي الطبري (أبي علي الحسن ابن القاسم الطبري الشافعي المتوفى ٣٠٥ هـ) .

- الحواشي للمنذري (للحافظ عبد العظيم ابن عبد العظيم ابن عبد القوي ابن عبد الله المنذري زكي الدين أبي محمد محدث فقيه) .
- جزء في تطهير المساجد لابن كثير .
- جزء في الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها .
- جزء في فضل عرفة لابن كثير .
- جزء في الميراث لابن كثير .
- الشامل لابن الصباغ (واسمه الشامل في فروع الشافعية) . لأبي نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الشافعي المتوفى ٤٧٧ هـ قال ابن خلكان وهو من أجود كتب الشافعي وأصحها نقلا .
- شرح المهذب للنووي وهو المعروف باسم (المجموع) .
- الشرح الكبير للرافعي (أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ وكتابه يسمى : (العزیز فی شرح الوجيز) .
- الصلاة للمروزي (أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي كان من أشهر الحديث في زمانه توفي (٢٩٤ هـ - ٩٠٦ م) .
- الصيام لابن كثير .
- العبادة الكاملة للهدلي . (أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد الهدلي المغربي المتوفى ٤٦٥ هـ - ١٠٧٤ م) .
- العدة للرافعي .
- فضائل الأوقات للبيهقي .
- فضائل الصلاة على النبي ﷺ لأحمد بن فارس اللغوي (أبي الحسين) القزويني المتوفى (٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م) .
- فضائل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل ابن إسحاق ابن إسماعيل الأزدي أبي إسحاق المتوفى ٢٨٢ هـ - ٨٩٦ م) .
- كتاب الذهبي في الكبائر .

- كتاب لابن تيمية في إبطال الحيل تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية إلى كل باطل .
- كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى للحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي .
- المحلى لابن حزم أبي محمد علي بن حزم الظاهري المتوفى ٤٥٦ هـ .
- المختصر للإمام الشافعي .
- مصنف الإمام البخاري في مسألة القراءة خلف الإمام .
- المقدمات لابن كثير .
- النهاية للإمام الجويني (واسم الكتاب : نهاية المطلب في دراية المذهب)
- الياسق لجنكيز خان المتوفى (٦٢٤هـ) والكتاب عبارة عن أحكام اقتبست من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك وكان دستور التتار .

تعليق عام على مصادره في الفقه :

مصادر ابن كثير في الفقه اثنان وثلاثون ، والملاحظة فيها أنها من أمهات كتب الفقه ، ولكن أغلبها مفقود ، وبعضها مخطوط لم ينشر بعد .

ومصادر الفقه أقل بكثير من مصادر السنة ، ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن ابن كثير لم يكن يفرع المسائل الفقهية ، ويستطرد فيها كما يفعل القرطبي مثلاً في تفسيره ، بل كان يعرضها بإيجاز شديد ويحيل أحياناً كثيرة إلى كتابه (الأحكام الكبرى) وغيره ، لكنه مع هذا كله استطرد في بعض المسائل .

ومن الملاحظ أيضاً أن معظم هذه المصادر شافعية المذهب كالأم والإملاء للشافعي وشرح المذهب للنووي ، والإيضاح للطبري ، والشامل لابن الصباغ وغيرها . وقد أفاد ابن كثير من آراء المذاهب الأخرى وكتبها ، ورجح بعض هذه الآراء على مذهبه لأن الدليل الصحيح كان معه .

خامسا : في التاريخ والسير والتراجم :

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
- (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير .
- أسماء الصحابة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني .
- الإكليل للهمداني (أبي محمد الحسن ابن أحمد ابن يعقوب الهمداني اليمني المتوفى سنة ٣٣٤هـ) .
- البداية والنهاية لابن كثير .
- تاريخ الخطيب للبغدادي .
- تاريخ ابن عساكر (علي بن الحسن المتوفى سنة ٥٧١هـ) .
- التاريخ الكبير للإمام البخاري .
- تاريخ مكة للأزرقي (أبي الوليد ابن عبد الله الأزرقى توفى بعد سنة ٢٤٤هـ) .
- تهذيب الأسماء واللغات للنووي .
- التنوير في مولد السراج المنير للحافظ أبي الخطاب عمر ابن دحية .
- جزء من فتح القسطنطينية للحافظ ابن كثير .
- الروض الأنف للسهيلي (عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلي المتوفى ٥٦١هـ-١١٨٥م) وكتابه يدعى (الروض الأنف باسم) في شرح السيرة .
- سيرة عمر بن الخطاب لابن كثير .
- السيرة لابن كثير (مطولة وموجزة) .
- سيرة الفقهاء للفقهاء يحيى ابن إبراهيم ابن مزين الطليطلي أبي زكريا من أهل قرطبة بالأندلس .
- الشفاء للقاضي عياض اليعصبى المتوفى (٥٤٤هـ-١١٤٩م) .
- الطبقات الكبرى لابن سعد (أبي عبد الله محمد بن سعيد بن منيع تلميذ الواقدي ومساعدته فلقب من أجل ذلك : كاتب الواقدي ، توفى (٢٣٠هـ-٨٤٥م) .

- معرفة الصحابة لابن مندة (أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد المعروف بابن مندة حفيد (أبي عبد الله محمد بن يحيى) .
- معرفة الصحابة للموصلي (الحافظ أبي يعلى الموصلي).
- مغازي الأموي سعيد بن يحيى الأموي .
- مغازي ابن لهيعة المتوفى (١٧٤هـ-٧٩٠م) .
- المغازي لمحمد ابن إسحاق بن يسار صاحب السيرة والمتوفى (١٥٠هـ أو ١٥١هـ) .
- المغازي لموسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي المتوفى سنة ١٤١هـ .
- (نهاية البداية والنهاية) . لابن كثير وقد ذكره بقوله (كتاب في التحذير من الفتن) .

تعقيب عام حول مصادره في التاريخ والسيرة والتراجم :

مصادر ابن كثير في التاريخ والسيرة والتراجم خمسة وعشرون مصدرا . ومعظمها موجود في المكتبة العربية ، وبعضها مفقود لا ندري عنه شيئا كسيرة عمر بن الخطاب ومغازي موسى ابن عقبة ، والأموي وغيرهم . ونستطيع أن نرى صورة عامة لهذه الكتب المفقودة من النقول التي نقلها ابن كثير في تفسيره .

وهذه المصادر من أمهات الكتب الإسلامية المعتمدة التي يعد الكثير منها موسوعات ضخمة في التاريخ والسير والتراجم كالبداية والنهاية وتاريخ بغداد وتاريخ ابن عساكر والطبقات الكبرى وغيرها . فالحافظ ابن كثير كان يستمد معلوماته ويستقيها من مصادر إسلامية معتبرة وذات قيمة كبيرة ، وليس معنى هذا أنها مصادر مبرأة من كل عيب ، وأنها خلت من الروايات الغربية المنكرة ، والنقول الإسرائيلية التي يشن ابن كثير الحرب عليها في كثير من الأحوال ، ويحذر منها ما وجد إلى ذلك سبيلا .

سادسا كتب علوم اللغة :

- الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجي .
- الزاهر لابن الأنباري (أبي بكر محمد ابن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن الأنباري المتوفى ٢٢٨هـ) .

- الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى ٣٩٣هـ — وقيل : ٣٩٣هـ أو ٤٠٠هـ .
- الغريب لأبي عبيد القاسم ابن سلام .
- هذه أربعة كتب في علوم اللغة ، منها ما ذكر مرة واحدة كالزاهر لابن الأنباري، ومنها ما ذكر كثيرا كالغريب والصحاح ، أما الجمل فكان يرجع إليه ابن كثير إذا احتاج إليه في مسألة نحوية أو تركيب لغوي .
- **سابعا : مصادر في موضوعات مختلفة :**
- إثبات عذاب القبر للبيهقي .
- الأذكار للنسائي .
- الأذكار للنووي .
- الأذكار للمعمري (الحسن بن علي بن شبيب من المحدثين الفقهاء) .
- الأذكار وفضائل الأعمال للحافظ ابن كثير .
- الإشراف على مذاهب الأشراف للوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة المتوفى (٥٦٠هـ) .
- الاعتقاد للبيهقي .
- الإنباه على ذكر أصول القبائل والرواة لابن عبد البر .
- الأهوال لابن أبي الدنيا (أبي بكر عبد الله أو عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي بالولاء المتوفى (٢٨١هـ-٨٩٤م) .
- التذكرة للقرطبي .
- التفكير والاعتبار لابن أبي الدنيا .
- التقوى لابن أبي الدنيا .
- التوحيد للإمام أبي إسحاق ابن خزيمة .
- جزء في الإسراء والمعراج للحسن ابن عرفة بن يزيد العبدي البغدادي (أبي علي) المحدث .

- جزء في دخول مؤمني الجن الجنة لابن كثير .
- جزء مجموع في الجراد لابن عساكر .
- خطبة لمروان ابن الحكم .
- الحمول والتواضع لابن أبي الدنيا .
- ذم الطفيليين للخطيب البغدادي .
- ذم المسكر لابن أبي الدنيا .
- الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل .
- الرد على الجهمية للدارمي عثمان بن سعيد بن خالد التميمي الدارمي (أبي سعيد) المتوفى ٢٨٠هـ (٨٩٤م) .
- الزهد لعبد الله بن المبارك ويكنى أبا عبد الرحمن المتوفى سنة ١٨١هـ .
- السابق واللاحق للخطيب البغدادي .
- السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب لأبي عبد الله الرازي .
- صفة أهل الجنة للحافظ أبي عبد الله المقدسي .
- صفة العرش لمحمد بن عثمان ابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٩٧هـ .
- صفة النار للحافظ ابن كثير .
- العجائب الغريبة للحافظ محمد بن المنذر (لأبي عبد الرحمن ابن المنذر بن سعيد بن عثمان السلمي) .
- الفكاهة للزبير بن بكار بن أحمد بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير المتوفى ٢٥٦هـ - ٨٧٠م) .
- القبور لابن أبي الدنيا .
- قصد الأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر .
- كتاب في الروح للحافظ أبي عبد الله ابن مندة .
- ما قرره المجامع النصرانية سنة ٤٠٠هـ نقلًا عن سعيد بن بطريق - يعد من علماء النصارى .

- مسانيد الشعراء لابن مردويه .
- مساوي الأخلاق (الجزء الثاني منه) لأبي بكر الخرائطي (محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي المتوفى ٣٢٧ هـ - ٩٣٨ م) .
- المستقصى للحافظ البهائي .
- المشهور في أسماء الأيام والشهور للشيخ علم الدين السخاوي (علي بن محمد بن عبد الرحمن الهمداني شيخ القراء بدمشق المتوفى ٦٤٣ هـ) .
- المعارف لابن قتيبة .
- مقدمة في الأنساب لابن كثير .
- مقصورة ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ) .
- مكارم الأخلاق للخرائطي .
- النسب للزبير بن بكار .
- نوادر الأصول للقرطبي .

ثامنا : مصادر هامة لم يصرح بأسمائها :

- بعض كتب أبي العباس ابن تيمية .
 - بعض كتب ابن جرير غير التفسير .
 - كتاب لإمام الحرمين الجويني غير الإرشاد .
 - كتاب لرزين بن معاوية (أبي الحسن المتوفى بعد العشرين وخمسة) .
 - الكتب الإسرائيلية .
 - كتب التفاسير .
 - كتب الصحاح والمسانيد والسنن .
- هذه سبعة كتب لم يحدد ابن كثير أسماءها ، أما الكتب الثلاثة الأخيرة فإن السبب في عدم تحديدها قد يرجع إلى أن النقل الذي يستقيه منها يكون مشهورا لدرجة تعفيه عن ذكر مرجعه . لكن هذا الأمر نسبي فقد يكون النقل مشهورا ومعروفا من جانب ابن كثير وأما بالنسبة لغيره فلا .

والكتب الأربعة الأولى لا ندري لعدم ذكرها وتحديدها سببا .

تاسعا : نقول عن شيوخ ابن كثير :

- أبو العباس ابن تيمية .
- أبو العباس الحجار .
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي .
- أبو الحجاج المزي .

عاشرا : نقول عامة ومبهمه :

- أبو عمرو بن العلاء (زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسن) .
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبان الأندلسي المتوفى ٥١٧ هـ .
- الحسن بن هانئ - شاعر .
- ابن بطة (عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة المتوفى ٣٨٧ هـ- ٩٩٧ م) .
- ابن خلكان القاضي .
- الخليل بن أحمد .
- سيبويه (عمر بن عثمان بن قنبر) .
- عبد الله بن الزبيرى . (شاعر مشهور) .
- الغزالي .
- النابغة الذبياني (شاعر) .
- بعض علماء التاريخ .
- بعض علماء الطب .
- بعض علماء الهيئة (الجغرافيا) .

ثانيا : الدراسات المستفيضة حول هذا الكتاب العظيم :

بالنسبة للمنهج :

- ابن كثير ومنهجه في التفسير ، إسماعيل سالم عبد العال ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .
- حياة ابن كثير ومنهجه في تفسير القرآن العظيم ، محمد بن عبد الله بن صالح الفالح ، سنة : ١٤٢٠ هـ ، رسالة دكتوراه بإشراف : د. محمد الشايع ، كلية أصول الدين ، جامعة الإمام بالرياض .
- البغوي وابن كثير ومنهجهما في التفسير . دراسة وتحقيق ، زينب عبد الرحمن الدخيل .رسالة دكتوراه .
- المقارنة بين منهج ابن عطية الأندلسي وابن كثير في تفسيرهما ، أحمد بن عبده بن الهادي الازبي، رسالة دكتوراه .
- منهج ابن كثير في تفسير آيات الأحكام ، ياسر بن إسماعيل راضي ، رسالة ماجستير .
- منهج ابن كثير في نقد الروايات من خلال تفسيره للقرآن ، خيرى قدرى أيوب ، رسالة ماجستير .
- منهج ابن كثير في التفسير ، للباحث سليمان إبراهيم عبد الله اللاحم ، إشراف محمد عبد الرحمن الراوي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨١ - رسالة ماجستير .
- الإمام ابن كثير ومنهجه في التفسير ، خالد حسن عبد الرحيم ، السودان : كلية القرآن الكريم ، القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، ١٩٩٦ - رسالة ماجستير .
- ابن كثير ومنهجه في التفسير ، فرمان إسماعيل إبراهيم ، جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية ، ١٩٩٠ . - رسالة ماجستير .
- الإمام ابن كثير ومنهجه في تفسير القرآن العظيم . فوزية أحمد الحسن طه ، السودان كلية القرآن الكريم - القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، ١٩٩٠ - رسالة ماجستير .

- المقارنة بين منهج الإمامين ابن جرير وابن كثير في التفسير ، محمد مختار بن طالب آل نوح ، رسالة ماجستير ، بإشراف عبد الفتاح عاشور ، كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، وهي منشورة.
- مقارنة تحليلية بين منهجي الشيخين نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي في تفسيره المسمى بحر العلوم وإسماعيل بن عمر بن كثير في تفسيره المسمى تفسير القرآن العظيم الماحي، معتصم علي محمد (٢٠١٢)

بالنسبة للاختيارات :

- ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره عرض ودراسة ، عبد القادر منصور ، رسالة ماجستير .
- ترجيحات ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره : عرضا ودراسة من أول سورة يونس إلى آخر القرآن الكريم ، عبد الله بن عبد العزيز العواجي ، رسالة دكتوراه .
- ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره : عرضا ودراسة ، آدم عثمان علي ، إشراف محمد أيوب محمد يوسف ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم التفسير ، ١٩٩٧ - رسالة ماجستير .
- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره ، أنس صالح أحمد رضا ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ٢٠٠٠ - رسالة ماجستير .
- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره من الآية (٤٦) فصلت إلى آية (٩٦) الواقعة ، التيجاني علي آدم إدريس ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٩٩٩ - رسالة ماجستير .
- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره من سورة يوسف إلى الكهف ، سيف راشد الجابري ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٩٩٨ - رسالة ماجستير
- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره من الآية (٢٩) الحديد - آخر الناس ، مهدي عبد الله أحمد أبكر ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٩٩٨ - رسالة ماجستير .

- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره من الجزء العاشر إلى الجزء الثاني عشر (دراسة تحليلية) ، فاطمة عبد القادر الخضر ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٩٩٩ - رسالة ماجستير .
- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره ، محمد سعيد إبراهيم محمود ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٩٩٩ - رسالة ماجستير .
- اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره من الآية (٢٠) الفرقان - آية (٣٠) سورة الأحزاب. نهي عبد الرحيم علي ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٩٩٩ - رسالة ماجستير .
- استدراقات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره ، أحمد عمر عبد الله الغاني سنة ١٤٠٢ هـ ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .
- استدراقات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره ، شايح عبده شايح الأسمرى ، رسالة دكتوراه .
- ترجيحات ابن كثير في تفسيره جزء عم لقمم الدين، محمد نصرودن ٢٠١١ م رسيلانغور جامعة المدينة العالميه كلية العلوم الإسلامية ماليزيا
- تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم : جمعاً و دراسة السيد، أحمد بن عمر بن أحمد (٢٠١٠)
- تعقبات الحافظ ابن كثير على المفسرين لهاني الحاج .

بالنسبة لأبحاث أخرى خدم بها التفسير :

- وقد خدم التفسير بخدمات عدة فقد استلقت منه بعض الرسائل والفوائد وعملت فيه أبحاث علمية وعمل لأحاديثه فهارس وغير ذلك ونحن نذكر هنا طرفاً مما وقفنا عليه :
- تفسير آية الكرسي أعظم آية في القرآن للأئمة الكبار الفخر الرازي ، ابن كثير ، الألوسي . وهو مطبوع بتحقيق محمود شلبي بدار المعرفة ببيروت .

- كيف تكون مؤمنا . من تفسير ابن كثير . إعداد وتعليق نشأت المصري نشر دار المختار الإسلامي بالقاهرة .
- فهرس أحاديث تفسير القرآن العظيم . إعداد يوسف عبد الرحمن المرعشلي ومحمد سليم إبراهيم وجمال الدين الذهبي . نشر دار المعرفة ببيروت .
- تخريج أحاديث سورة الكهف من تفسير ابن كثير ، محمد بن عبده بن عبد الرحمن الكحلاني ، سنة : ١٤٠٤ هـ ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
- الحافظ ابن كثير وجهوده في الجرح والتعديل في تفسيره ، عبد العزيز بن عبد الله الزير . سنة : ١٤١٨ هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم الدراسات الإسلامية
- تخريج أحاديث سورة الرعد من تفسير ابن كثير ، محمد عبده عبد الرحمن الكحلاني سنة ١٤٠٠ هـ ، رسالة ماجستير . الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .
- تخريج الأحاديث الواردة في تفسير ابن كثير ، المجلد ٢ (١٣٣٨ حديث) ، الحسن أفقرين ، إشراف المكي أحمد أفلاينة ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الإسلامية ، ١٩٩٥ - رسالة ماجستير .
- تخريج الأحاديث الواردة في تفسير ابن كثير : المجلد الأول (يشتمل على ٧٢٧ حديث) ، حميد العبادي ، إشراف المكي أحمد أفلاينة ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الإسلامية ، ١٩٩٥ - رسالة ماجستير .
- منهج الحافظ ابن كثير في نقد المرويات من خلال تفسيره للقرآن . خيري قدرى أيوب محمود ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٩٧ ، رسالة ماجستير .
- الصناعة الحديثية عند الحافظ إسماعيل بن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم ، للباحث: ياسر الشمالي ، إشراف: حسيب حسن السامرائي ، جامعة آل البيت ، كلية الفقه والقانون ، ٢٠٠١ - رسالة ماجستير .
- الروايات المسندة عند ابن كثير من كتب التفاسير المفقودة ، غالب محمد هوايش ، إشراف أمين محمد عطية باشا ، جامعة أم القرى ، ١٩٩٤ - رسالة دكتوراه .

- التراث الأدبي في تفسير ابن كثير: دراسة فنية ، عبد المنعم علي عثمان ، إشراف محمد علي رزق الحفاجي ؛ قرشي عباس دندراوي ، قنا: جامعة جنوب الوادي - كلية الآداب ، ١٩٩٤ - رسالة ماجستير .
- الإمام ابن كثير وأثره في علم الحديث رواية ودراية ، مع دراسة منهجية تطبيقية على تفسير القرآن العظيم ، د عدنان بن محمد بن عبدالله آل شلش ، دار النفائس للنشر والتوزيع أصل الكتاب: رسالة دكتوراه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان
- حاشية على تفسير ابن كثير عنوانها (العلم الغزير في تفسير ابن كثير ، لإسماعيل الزرعي / خطيب جامع الديلع ، والمخطوط موجود في (الرباط / تريم ٥٢ [٢٦٩] أ.د. سليمان اللاحم رسالة ماجستير في جامعة الإمام ، مطبوعة في مجلد واحد.
- الاتجاه الفقهي في تفسير ابن كثير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة دراسة وتحقيقاً بواسطة: صيام، ميسرة عاجب يعقوب منشور: (١٩٩٠)
- تأثير الشعر في تفسير الحافظ ابن كثير : دراسة تحليلية بواسطة: كوردي، بابكر همزة وتمان منشور: (٢٠١٢)

أهمية تفسير ابن كثير :

يعتبر تفسير ابن كثير من خير كتب التفسير ، واحتمل مكانة مرموقة في الكتب الإسلامية ، وشهد له العلماء بذلك ، وذاع صيت هذا الكتاب ، وتداولته الأيدي قديما وحديثا ، على مختلف المستويات العلمية والشعبية والدينية^(١) ، يقول السيوطي : " له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله " ^(٢).

() انظر كشف الظنون ١/٣٠٥ .

() ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦١ .

ويقول الشوكاني : " وله تصانيف مفيدة ، منها : التفسير المشهور وهو في مجلدات ، وقد جمع فيه فأوعى ، ونقل المذاهب والأخبار والآثار ، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه ، وهو من أحسن التفاسير " (١) ،

ويقول الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر : " فإن تفسير ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا ، وأجودها وأدقها ، بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري " (٢) .

ويقول الدكتور الشيخ الذهبي : " كان ابن كثير على مبلغ عظيم من العلم ، وقد شهد له العلماء بسعة علمه ، وغزارة مادته ، خصوصاً في التفسير والحديث والتاريخ .. ، وعلى الجملة فعلم ابن كثير يتجلى بوضوح لمن يقرأ تفسيره أو تاريخه ، وهما من خير ما ألف ، وأجود ما أخرج للناس " (٣) .

ويقول الشيخ محمد كريم راجح : " وكنت أرى أن تفسير القرآن الكريم للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين ... ، كتاب جمع فأوعى ، ففيه الدراية والرواية ... وكان مما من الله به ان جعل هذا التفسير فتحاً ، فكان محبباً إلى القلوب ، قريباً من الأفكار ، عبارته سهلة ، وعرضه ظاهر ، وأهدافه واضحة ... " (٤) .

ويقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي : " وتفسير ابن كثير هذا غني عن التعريف ، إذ يكاد أن يكون التفسير الوحيد الذي حرص صاحبه رحمه الله تعالى على أن يكون تفسيراً غير مختلط بأي علم آخر ... فهو تفسير للتفسير فقط ... ، ويرجو بذلك أن يصل إلى غاية سامية جليلة ، وهي تعيين مراد الله تعالى من كلامه العظيم ، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً " (٥) .

ويقول الدكتور محمد لطفي الصباغ : " وتفسير ابن كثير جيد ، انتفع الناس به قديماً وحديثاً ، وذلك عائد إلى سلامة منهجه وإخلاص مؤلفه ، وسهولة المراجع فيه ... ، إنه من أشهر كتب التفسير بالمأثور ، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً بين الناس ، وزادت المطابع في عصرنا من

(١) البدر الطالع ١٣٥/١ . ١

(٢) عمدة التفسير ٥/١ . ٢

(٣) التفسير والمفسرون ٢٤٣/١ . ٣

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ، راجح ٥/١ .

(٥) تيسير العلي الكبير لاختصار تفسير ابن كثير ، المقدمة ٦/١-٧ .

شهرته ، فطبع أكثر من مرة ، وفي أكثر من بلد ، مستقلا حيناً ، ومع تفسير آخر حيناً آخر" (١) .

انتقادات وجهت له :

نقل هنا طرفاً ذكره أحد الباحثين تحت عنوان المآخذ على تفسير ابن كثير :
جاء تفسير ابن كثير ذخيرة علمية ، ولكنه لم يخل من بعض المآخذ التي لاحظها العلماء ،
ونكتفي باثنين منها :

١- الإطالة : فقد حرص ابن كثير رحمه الله تعالى على ذكر الأسانيد كاملة ، كما حرص على إيراد الروايات المتكررة في الموضوع الواحد ، والاستعانة بالشواهد اللغوية ، مما يؤدي إلى الملل والتعب والسآمة من الإطالة في عرض تفصيلات وجوانب متفرعة ودقيقة ، لا يستفيد منها إلا فئة مخصوصة من العلماء والباحثين ، وهذا ما دعا العلماء في هذا العصر لاختصار هذا التفسير ، كما سنرى .

٢- الإسرائيلية : كان ابن كثير رحمه الله تعالى متنبهاً لأمر الإسرائيليات وخطرها ، وتعرض لها في مقدمة كتابه ، كما سبق ، وهو المحدث الحافظ ، ومع ذلك فقد أوردتها في كتابه للاستئناس بها ، بحجة "الاستشهاد لا الاعتضاد" ، ونبه في معظم الأحيان عليها ، ويذكر الراوية ، ثم يصرح بأنها إسرائيلية ، وقد بين بطلانها ، وفسادها ، ولكن القارئ العادي سيقروها ، وقد لا يتنبه إلى معنى كونها إسرائيلية ، أو ينسى ذلك ، وقد تعلق بذهنه ولو صرح المصنف ببطلانها . فكان ذكرها بالتفسير مأخذاً ، وإن الخطر والضرر في إثباتها أكثر بكثير من حذفها وإغفالها ، ولذلك يتردد على ألسنة العوام ، وأنصاف المتعلمين أن هذه القصة (الإسرائيلية) أو تلك وردت في تفسير ابن كثير .

ولذلك حرص القائمون على اختصار ذلك الكتاب القيم إلى إغفالها نهائياً ، وشبه كلياً ، كما سنرى .

() بحوث في أصول التفسير ص ٣٦-٤٦ .

كما بين القائمون على اختصار تفسير ابن كثير بعض المآخذ والسلبيات التي وردت في التفسير ، وحرصوا على تجنبها وحذفها ، ليعم به النفع والفائدة .

كما كتب باحث آخر تحت عنوان : **أوهام الحافظ بن كثير في تفسيره قائلًا :**

لعل بعض من ينظر إلى هذا العنوان يلحق سيء الظن بنا ، ويرى أننا عمدنا للطعن على من تقدمنا ، وإظهار العيب في سلفنا . ومعاذ الله من هذا !! وأنى يكون ذلك ، وبهم ذكرنا ، وبشعاع ضيائهم تبصرنا ، وباقتفائنا واضح رسومهم تميزنا ، وبسلوك سبيلهم عن المنهج تحيزنا . وما مثلهم ومثلنا إلا ما قال أبو عمرو بن العلاء : ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال .

لكن لما جعل الله تعالى في الخلق أعلاما ، ونصب لكل قوم إماما ، لزم المهتدين بمبين أنوارهم ، والقائمين بالحق في اقتفاء آثارهم ممن رزق البحث والفهم ، وإنعام النظر في العلم – ونسأل الله عز وجل أن نكون كذلك – بيان ما أهملوا ، وتسديد ما أغفلوا إذ لم يكونوا معصومين من الزلل ، ولا آمنين من مقارفة الخطأ والخلط .

وذلك حق العالم على المتعلم ، وواجب على التالي للمتقدم .

ومن هذا المبدأ استخرنا الله تعالى في كتابة هذا العنصر في المقدمة ، فرأينا أهميته لا سيما وأن الكتاب متداول بين عوام المسلمين قبل طلبة العلم منهم وقد وقع فيه أغلاط وتصحيفات كثيرة نكتفي بذكر أمثلة منها هنا ، والباقي تراه في حاشية الكتاب لكن مما ينبغي التنبيه عليه ، قبل ذكر هذه الأمثلة أن نقول : إن بعض الأغلاط والتصحيفات التي تم تعقيها أو تقويمها ، أعظمتنا أن تكون غابت عن الحافظ ابن كثير ، وأكثرنا جوازها عليه ، وجوزنا أن يكون ذلك تصحيحا أو تحريفا من الناسخ ، مع أنه لا يعرى بشر من السهو والغلط فسبحان من لا يأخذه سنة ولا نوم .

وقد قسمنا هذه الأوهام بحسب ما وقع لنا إلى أربعة أقسام وهي :

أولا : الخطأ في العزو :

مثال : ألا يكون الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، ومع هذا تراه يعزوه إليهما أو إلى واحد منهما أو يكون فيهما أو في أحدهما لكنه من طريق غير الطريق الذي عزاه المصنف إليهما أو إلى أحدهما .
ومن ذلك :

١ - أنه ذكر حديثا - (سورة آل عمران \ آية رقم ١٨٥) - من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده إلى أبي هريرة مرفوعا : (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ .

وقال : (هذا حديث ثابت في الصحيحين من هذا الوجه ، بدون هذه الزيادة . يعني قوله (اقرءوا ما شئتم ...) وهذا اللفظ إنما أخرجه البخاري (٢٨٩٢) بإسناده إلى سهل بن سعد الساعدي مرفوعا : (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)

واقصر مسلم في صحيحه حديث (١٤) (١٨٨١) على إخراج الجزء الثالث من الحديث دون الأولين .

٢ - ومنه أيضا أنه ذكر حديثا - (سورة آل عمران / آية ١٦٩) - برواية الإمام أحمد : ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس مرفوعا : : (ما من نفس تموت لها عند الله خير....) الحديث وقال : تفرد به مسلم من طريق حماد .

وهذا إنما أخرجه مسلم من طريق ، حميد وقتادة ، عن أنس ، ولم يخرج مسلم من طريق ثابت ، عن أنس ، ومن المحتمل أن يكون الناسخ أو غيره تصرف في هذه العبارة وأصلها : تفرد به أحمد من طريق حماد . والله أعلم .

٣ - ومنه قوله في (سورة آل عمران / آية ١٨٧) : كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ (من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها ، لم يزد الله إلا قلة ..) .

وهذا إنما هو جزء من حديث رواه مسلم (١٧٦) (١١٠) من مسند ثابت ، عن الضحاك ، وأصله عند البخاري (١٣٦٣) دون هذه اللفظة ، وقد أفاد أبو الفضل ابن حجر في (الفتح) (٥٣٨ / ١١) : إنها من زيادة مسلم .

٤- قوله في (سورة النساء / آية ٣١) : (وفي الصحيح شاهد بمعناه - وهو حديث أنس :
(شفاعته من أهل الكبائر من أمتي) وهو قوله ﷺ بعد ذلك الشفاعة : (أترونها للمؤمنين
والمتقين ؟ لا ، ولكنها للخاطئين المتلوثين) .

وهذا لا يوجد في أي من الصحيحين وإنما رواه ابن ماجه (٤٣١١) فحسب من بين
أصحاب الكتب الستة .

هذا وقد بدا لي أن يكون ابن كثير يعني بقوله : (وفي الصحيحين) أي وفي الحديث الصحيح
لأن مثل هذا ورد كثيرا فيستبعد أن يكرر مثل هذا الوهم منه . والله أعلم . ومع هذا فإن
الحديث معل بالاضطراب كما تراه محققا في الموضوع المذكور .

٥- قوله في (سورة النساء / آية ٣٤) بعد ذكر حديث : (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة) :
(رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه) .

وعزوه إلى البخاري من هذه الطريق خطأ ؛ فإن البخاري رواه (٧٠٩، ٤٤٢٥) وكذا رواه
الترمذي (٢٢٦٢) والنسائي (٢٢٧/٨) وأحمد (٥/٤٣، ٤٧، ٥١) من طرق ، عن الحسن
البصري ، عن أبي بكر به ، والحديث لم يذكره المصنف في كتابه (جامع المسانيد والسنن)
المجلد (١٣) ومن قبله شيخه أبي الحجاج المزني في كتابه (تحفة الأشراف) (٩/٤٤) من رواية
عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه وقد استدرك ذلك المنصف نفسه فرواه على الجادة في كتابه
(البداية والنهاية) (٢/٢٦) .

٦- قوله (سورة النساء / آية ٩٥) : (وعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : أوصاني خليلي :
أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف) رواه مسلم .

ومسلم رواه (٣٦) (١٨٣٧) من حديث أبي ذر ومن هذا الوجه رواه أحمد (٥/١٦١) وابن
ماجة (٢٨٦٢) والبخاري في الأدب المفرد (١١٣) ، وحديث أبي هريرة لم أهتد له .

٧- قوله (سورة الأنعام / آية ١٢) : (ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ،
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ (إن الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده :
إن رحمتي تغلب غضبي) كذا عزاه للصحيحين في هذه الطريق ، وإنما الذي أخرجه من هذا
الوجه البخاري (٧٤٠٤) وحده ، ورواه مسلم (١٦:١٤) (٢٧٥١) من طريق أبي الزناد ،

عن الأعرج ، ومن طريق الحارث ابن عبد الرحمن بن ميناء ، كلاهما (الأعرج وعطاء) عن أبي هريرة به - وانظر (تحفة الأشراف) (٣٨٤،٣٤٦/٩) .

٨- ومنه قوله (سورة الأنعام / آية ١٠٣) ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) وهذا وهم ؛ لأن الحديث انفرد بروايته مسلم (٢٩٣،٢٩٥) (١٧٩) دون البخاري ، وقد ذكر المصنف نفسه ذلك في (سورة البقرة) / آية (٢٥٥) وعزاه إلى الصحيح فقط .

٩- قوله (سورة الأعراف / آية ٨) : (...ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أن القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك) .

والحديث إنما أخرجه ابن ماجه فحسب من بين أصحاب الكتب الستة ، ورواه أحمد (٣٤٨/٥) ضمن حديث طويل نقله المصنف في صدر تفسير سورة البقرة وعزاه إلى ابن ماجه .

١٠- قوله (سورة الأعراف / آية ٩٥) : (ثبت في الصحيحين : (عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له) .

كذا عزاه للصحيحين وهو وهم ، استدركه هو نفسه عند (آية رقم ٥) من سورة إبراهيم ، وعزاه للصحيح فقط ، وهو في صحيح مسلم (٢٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب ، وقد عزاه الحافظ ابن حجر في (الفتح) (١٠٩/١٠) إلى مسلم فحسب ، وانظر (سورة يونس / آية ١٢) .

١١- ذكر حديث (سورة الأعراف / آية ١٥٨) بإسناد الإمام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : (من سمع بي من أمي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة) .

وقال في (سورة هود / آية) وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر (... فذكره .

كذا عزاه من هذا الوجه إلى صحيح مسلم !! مع أنه أورده في (جامع المسانيد والسنن) (٢٨٤/٥ /مخطوط) ومن قبله شيخه المزني في تحفة الأشراف ٨٩٩٥/٦ ولم ينسبها إلا إلى النسائي وقد أخرجه النسائي في التفسير من السنن الكبرى ١١٢٤١/٦ ولذلك أورده الهيثمي في المجمع ٢٦٤/٨ . وقد روى مسلم في صحيحه (٢٤٠) (١٥٣) من طريق عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ... فذكر حديث بنحو السابق .

١٢- وأورد في سورة هود آية ٧ حديث عمران بن حصين مرفوعا . (اقبلوا البشرى يا بني تميم) ... (وقال : وهذا حديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة . والحديث أورده المزني في تحفة الأشراف ١٠٨٢٩/٦) والحافظ ابن حجر في النكت الظرف ولم ينسبها إلا إلى البخاري والترمذي والنسائي دون مسلم ، بل إن المصنف نفسه ذكره في البداية والنهاية ١٧/١ ، ٨٢/٥ وعزاه للمذكورين دون مسلم .

١٣- قوله سورة هود / آية ١١٤ وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (أرأيتم لو أن نhra غمرا) والحديث متفق عليه دون لفظة : (نhra غمرا) فلم يخرجها إلا مسلم (٢٨٤) (٦٦٨) من حديث جابر بن عبد الله ورواها أحمد ٤٢٦/٢ من حديث أبي هريرة .

ولم يقتصر الخطأ في العزو عند ابن كثير على الصحيحين بل قد تعدى إلى غيرها ، فمن ذلك :

- ذكر حديثا (سورة النساء آية ٣١) رواه الحاكم بإسناده إلى معاذ بن هانئ ، ثنا حرب بن شداد ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الحميد بن سنان ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيه - يعني: عمير بن قتادة - رضي الله عنه - أنه حدثه وكانت له صحبه : أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : (ألا إن أولياء الله يصلون ...) فذكر حديثا طويلا .

قال ابن كثير : هكذا رواه الحاكم موطولا وقد أخرجه أبو داود والترمذي مختصرا من حديث معاذ بن هانئ به .

كذا قال !! والذي رواه أبو داود والنسائي ولم يروه الترمذي ، والمصنف نفسه ذكره في جامع المسانيد السنن (١١٤/١٠) ومن قبله شيخه أبو الحجاج المزي في تحفة الأشراف ١٠٨٩٥/٨ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٢/٢ معزوا إلى أبي داود والنسائي .
- وذكر سورة النساء / آية ٤٣ ما رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى شعبة أخبرني سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات ... الحديث .

قال ابن كثير : والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ، ورواه أهل السنن إلا ابن ماجه من طرق عن سماك به كذا عزاه لأهل السنن - إلا ابن ماجه - من طريق سماك ، والذي رواه من هذه الطريق هو الترمذي (٣١٨٩) فحسب ، ورواه أبو داود (٢٧٤٠) والنسائي في الكبرى ١١١٩٦/٦ وكذا الترمذي ٣٠٧٩ من طرق عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد به مختصرا وقد استدرك المصنف نفسه هذا الخطأ عند فاتحة سورة الأنفال ، وانظر أيضا تحفة الأشراف ٣/٣٩٣٠ .

- ومنه قوله سورة النساء آية ٤٣ : ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة عن عمرو بن بجدان ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : (الصعيد طهور المسلم) .

كذا عزاه هنا لأهل السنن ولم يخرج من بينهم ابن ماجه ، وقد استدرك هو نفسه ذلك بعد عدد من الصفحات رقم ٤٩٥ فقال : رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه .

- ومنه قوله سورة الأنعام آية ١٢١ واحتج لهذا المذهب - وهو : إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر ، وإن تركها عمدا لم تحل - بالحديث المروي عن طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وأبي هريرة ، وأبي ذر ، وعقبة ابن عامر ، وعبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ : (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

وابن ماجه لم يرو حديث عقبة ابن عامر وحديث عبد الله بن عمر . انظر تخريجهما في الموضوع المذكور .

- وذكر سورة الأعراف آية ٢٠٢ ما رواه أبو بكر ابن مردويه بإسناده إلى محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها

طيف ، فقالت يا رسول الله : ادعوا الله أن يشفيني فقال : (إن شئت دعوت الله فشفاك
....) .

قال ابن كثير : رواه غير واحد من أهل السنن وعنده

والذي رواه من أهل السنن هو النسائي فحسب فرواه في السنن الكبرى ٧٤٩٠/٤ من
حديث ابن عباس وكذا أخرج حديث ابن عباس البخاري ٥٦٥٢ ومسلم (٥٤) (٢٥٧٦) .
- ومنه قوله سورة هود آية ١٧ : وفي المسند والسنن كل مولود (يولد على هذه الملة حتى
يعرب عنه لسانه وهذا لم يعزه المزي في التحفة ٧٠/١ إلا إلى النسائي في السير ٨٦١٦/٥
من الكبرى بلفظ آخر من حديث الأسود بن سريع.

ثانيا : الخطأ في تسمية الصحابي الذي روى الحديث ، أو نسبة الحديث إلى الصحابي ولم
يكن له في الباب شيء :

فمن الأول : قوله فيه سورة يوسف / آية ٥ ، ٤١) : وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد
وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : قال رسول الله ﷺ : الرؤيا
على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت . كذا جعله من مسند معاوية ابن حيدة وقد
رواه أحمد ٤/١٠ ، ١٢ ، ١٣) وعنه أبو داود ٥٠٢٠ والترمذي ٢٢٧٩ ، ٢٢٨٠ وابن
ماجة ٣٩١٤ وغيرهم من حديث أبي رزين العقيلي وذكره المصنف نفسه في كتابه جامع
المسانيد ٣/ورقة - ١٧ في مسند أبي رزين ولم يذكره في مسند معاوية ابن حيدة .

ومن الثاني : قوله سورة النساء آية ٥٨ : وفي الحديث عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ
قال : (أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك) ولم أجد لسمرة رواية في هذا الباب وإنما
خرجه ابن جرير ٨/٩٨٥٠ بإسناد صحيح عن الحسن مرسلا ، ويحتمل أن المصنف أو
الناسخ زاد : سمرة سهوا لشهرة الخلاف الواقع في رواية الحسن عن سمرة وفي الباب عن غير
واحد من الصحابة انظر حاشية الموضوع المذكور .

ثالثا : الخطأ الواقع في الأسانيد فمن ذلك :

١- ما ذكره (سورة النساء / آية ٤٣) عن ابن جرير في تفسيره ٨/٨٩٥١ حدثني حميد ابن
مسعدة ، حدثنا يزيد ابن زريع ، ثنا شعبة عن أبي البشر ، عن سعيد بن جبير قال : ذكروا

اللمس فقال ناس من الموالي : ليس بالجماع... فذكر الخبر ، ثم قال الحافظ ابن كثير : ثم رواه عن ابن بشار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه

والذي في تفسير ابن جرير من هذه الطريق أن شعبة رواه عن أبي قيس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به .

٢ - ومنه ما نقله (سورة الأنعام / آية ٥٩) عن ابن أبي حاتم بإسناده إلى مالك بن سعيد ، ثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله ابن الحارث قال: ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها

قال ابن كثير : وكذا رواه ابن جرير (١١ / ١٣٣٠٨) : زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاط وفي الحاشية للشيخ شاکر قال : جاء في المخطوطة وتفسير ابن كثير زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاط وهو خطأ لاشك فيه ، فإن الذي يروي عن مالك بن سعيد ، هو زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب فضلا عن أنه ليس في الرواة من يسمى : زياد ابن عبد الله الحساني أبو الخطاط .

٣ - ومنه أنه ذكر (سورة الأنعام / آية ٦٥) حديثا من رواية الإمام أحمد بإسناده إلى معاذ بن جبل قال : أتيت رسول الله ﷺ أطلبه وفيه أن رسول الله ﷺ قال : (إني صليت صلاة رغبة ورهبة)

قال ابن كثير : ورواه ابن مردويه من حديث أبي عوانة ، عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، عن معاذ بن جبل ...

فقوله : عن عبد الله بن عمير خطأ وصوابه : (عبد الملك بن عمير) إذ ليس في الرواة عن عبد الرحمن بن أبي ليلي من اسمه هكذا . وقد جاء الإسناد على الصواب في المسند (٢٤٣/٥) ، (٢٤٧)

٤ - ومنه ما نقله (سورة الأنعام / آية ١١٢) عن ابن جرير في تفسيره (١٢ / ١٣٧٦٩) ثنا المثني ، ثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن بن عائد ، عن أبي ذر قال : أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطل فيه الجلوس... الحديث .

كذا كنى هنا محمد ابن أيوب — أبي عبد الله وكذا هو في تفسير ابن جرير ، قال الشيخ الأديب : محمود شاكر في حاشيته على تفسير ابن جرير (١٢ / ٥٤) : أبو عبد الله محمد ابن أيوب كأنه خطأ من الناسخ ، وصوابه أبو عبد الملك محمد بن أيوب قال البخاري في (التاريخ الكبير) (١/١ / ٢٩ ، ٣٠) محمد بن أيوب أبو عبد الملك الأزدي ، عن ابن عائد ، عن أبي ذر وترجمه ابن أبي حاتم (١٩٦/٢/٣ ، ١٩٧) فذكر مثله .

قلت : وجاء على الصواب في رواية ابن عساكر في (تاريخ دمشق ١٦٧/٨/مخطوط) .

٥- ومنه أنه ذكر سورة الأعراف على آية ٧٠ حديثا من رواية الإمام أحمد ، ثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سلمان النحوي ، ثنا عاصم ابن أبي النجود عن أبي وائل ، عن الحارث البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ ... فذكر حديثا طويلا .

قال الحافظ ابن كثير : ورواه الترمذي ، عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحباب به نحوه ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر ، عن عاصم - وهو ابن بهدلة - ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضا عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري به . أه ورواية ابن ماجه ليس فيها أبو وائل وانظر تحفة الأشراف ٣/رقم ٣٢٧٧ .

٦- ومنه ما نقله سورة الأعراف آية ١٤٣ عن ابن جرير في تفسيره ١٣/١٥٠٨٧ حديثي المثني (ثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا حماد عن ليث ، عن أنس : أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا﴾ قال هكذا بإصبعه ووضع النبي ﷺ إصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل .

كذا نقل المصنف عن ابن جرير هذا الإسناد الذي في تفسير ابن جرير : (... ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس) ونقل الأديب محمود شاكر في الحاشية هذا الإسناد عن هذا الموضوع ثم قال : وليس ذلك كما نقل ، فإن الثابت في المخطوطة والمطبوعة حماد ، عن ثابت ، عن أنس ليس فيها ليث فلا أدري كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين .

ثالثا : التقصير في العزو : فمن ذلك :

ما ذكره سورة آل عمران آية ١٨٠ من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : (لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إلى دعي له يوم القيامة

شجاعا ، يتلمظ فضله الذي منع) واقتصر على عزوه لابن جرير وابن مردويه ، مع أن الحديث رواه أحمد (٢/٥ ، ٣ ، ٥) وأبو داود (٥١٣٩) والنسائي (٨٢/٥) وغيرهم ممن هم أولى أن يعزى إليهم الحديث .

رابعا : السهو في بعض كلام الأئمة فمن ذلك :

١- ما ذكره سورة الأنعام / آية ١٠٣ أن الحاكم وغيره قد رووا من طريق الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول : رأى محمد ربه تبارك وتعالى ثم نقل ابن كثير عن الحاكم قوله : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والذي في جميع نسخ الحاكم أنه قال عقبه صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهذا أشبه منه وإن كان فيه تساهل بين ؛ حيث رواه الحاكم من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي به وإبراهيم هذا ضعفه الجمهور ، ولذا تعقب الحاكم الذهبي في حكمه السابق ، فقال : بل إبراهيم متروك قلت : ولم يخرج الشيخان له ولا لأبيه شيئا .

٢- ومن ذلك أنه ذكر سورة الأعراف / آية ٨ حديث البطاقة المشهور ثم قال عقبه رواه الترمذي وصححه . والثابت عند الترمذي في جامعه (٢٦٣٩) أنه قال : حسن غريب . وكذا هو في تحفة الأشراف ٢٥٠٣/٦ وهو ما نقله المصنف نفسه في تفسيره (سورة الأنبياء) على آية ٤٧ .

انتهى النقل عن الباحث المشار إليه .. ونحن نزيد هنا نقطة مهمة وهي :

يلاحظ على ابن كثير رحمه الله وقد انبرى لتفسير كتاب الله وأخرج لنا هذا السفر العظيم أن بعض الآيات لم يفسرها إطلاقا : إما سهوا ، وإما عمدا هروبا من إشكالاتها ، وإما خوفا من عدم وضعها مواضعها الصحيحة ..

فمن الأول :

مواضع يأتي التنبيه عليها في مكانها من التفسير

ومن الثاني :

عند قوله تعالى : ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك

ومن الثالث :

عند قوله تعالى : أفأرأيتم اللات والعزى

ثالثا : دراسة شاملة لمخطوطات هذا التفسير وأماكن وجودها :

تقرير بالمكتبات الموجودة بها نسخ من تفسير الحافظ ابن كثير

@@@

النسخة	حجمها	تاريخها	خطها	ملاحظات
١. الأزهرية	كاملة	٨٢٥هـ	جيد	بها سقط وهي عمدة الطبقات
٢. أيا صوفيا	كاملة	٨٠٦هـ	بديع لم يرجع لها	مقابلة بمقروءة على المؤلف
٣. المحمودية	كاملة	١٣١٥هـ	جيد	لم يرجع لها
٤. طوبقبوسراي لعلها	كاملة	٧٦٧-٨٩٦هـ	-	لم يرجع لها
٥. رستم باشا	لعلها كاملة	٨٩٤هـ	-	لم يرجع لها
٦. خدا بخش	كاملة	١١٥٨-١٢٨٤هـ	-	لم يرجع لها
٧. دار الكتب المصرية	كاملة	٧٨٥هـ	-	رجع لها
٨. الحميدية	كاملة	حديثه	دقيق ومزين	رجع لها
٩. تشستريتي	قطعة من البقرة	٧٧٦-٩٠٠هـ	-	رجع لها بها حواش بخط المؤلف
١٠. جامعة الإمام رررناقصه الثلث		٩٠٠-١٢٠٠هـ	-	رجع لها
١١. ولي الدين جار الله	ناقصه السدس	٧٩٩-٨٣٧هـ	-	رجع لها
١٢. جامعة الرياض	قطعتان ٧ أجزاء	١٠٠٠-١١٥٥هـ	-	رجع لها
١٣. مكتبة الأوقاف ببغدادحوالي النصف		٧٥٨هـ	-	رجع لها
١٤. الحرم المكي	ناقصه الثلث	٧٦٩-١٢٢٦هـ	جيدة وردية	رجع لها
١٥. المكتبة الوطنية بباريس	قطعة من الكهف	-	-	لم يرجع لها
١٦. مؤسسة الملك فيصل	٤ أجزاء من الأول	١٣٠٦هـ	-	رجع لها
١٧. الظاهرية	مجلد	٨٥٠هـ تقريبا	-	لم يرجع لها
١٨. رامبور	مجلد	١٢٥٠هـ تقريبا	-	لم يرجع لها
١٩. السليمانية	-	-	-	لم يرجع لها
٢٠. السليمية	-	-	-	لم يرجع لها

٢١. عاطف أفندي	مجلدان	-	-	لم يرجع لها
٢٢. فيض الله أفندي	مجلد	-	-	لم يرجع لها
٢٣. نور عثمانية	-	-	-	لم يرجع لها
٢٤. المرسي أبو العباس	٤٥ و	-	-	لم يرجع لها
٢٥. المكتبة الشرقية بنكييور	-	-	-	لم يرجع لها

ذكر أماكن المخطوطات : الفهرس الشامل _ ذيل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤٩/٢
بالأصل الألماني _ فهارس المكتبات

النسخ الكاملة :

(١) نسخة أيا صوفيا بتركيا :

رمزها : الأصل .

ناسخها : معروف وهو محمد الشاذلي بن الشيخ جاد الكريم .

تاريخها : بدأ كتابتها الأحد ١٣ جمادى الثاني سنة ١٠٨٢هـ - انتهى منها الثلاثاء ١٠ جمادى
الأول سنة ١٠٨٤ هـ .

مجلدان _ المجلد الأول : من الفاتحة إلى آخر النحل ، والمجلد الثاني : من الإسراء إلى النهاية
_ خطها جيد واضح _ ليس فيها فضائل القرآن _ ليست مقابلة ، ولا يوجد بها أي حواش
بها تصحيفات بسبب عدم المقابلة وكثير من الزيادات ليست فيها .

لم يقف عليها السلامة ووقف عليها أبو إسحاق في المجلد الثاني وأشار إليها بالرمز(ض)

(٢) النسخة الأزهرية بمكتبة الأزهر :

رمزها :

ناسخها : محمد بن علي الصوفي

تاريخها : انتهى منها ١٠ جمادى الأولى سنة ٨٢٥ هـ .

سبعة مجلدات المجلد الأول ، وعدد أوراقه (٣١٢) ورقة ، ويبدأ من أول التفسير إلى نهاية سورة البقرة .

المجلد الثاني ، وعدد أوراقه (٣٢٤) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة آل عمران وينتهي بتفسير الآية (٩٥) من سورة المائدة .

المجلد الثالث ، وعدد أوراقه (٣٢٨) ورقة ، ويبدأ بتفسير الآية (٦٩) من سورة المائدة ، وينتهي بتفسير سورة هود . وفيه خرم .

المجلد الرابع ، وعدد أوراقه (٣٢٢) ورقة ويبدأ بتفسير سورة يوسف وينتهي بتفسير سورة الحج

المجلد الخامس ، وعدد أوراقه (٣٢٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة المؤمنون وينتهي بسورة فاطر

المجلد السادس وعدد أوراقه (٢٨٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة يس ، وينتهي بسورة القمر .

المجلد السابع ، وعدد أوراقه (٣٣٠) ورقة ، ويبدأ بتفسير سورة الرحمن وينتهي بتفسير سورة الناس .

ليس فيها فضائل القرآن وهذه النسخة كثر الكلام حولها وهي خالية من جميع الزيادات تقريبا ففات فيها ما يقارب ربع الكتاب إن لم يكن أكثر .

قال رشيد رضا في نسخة الأزهر : ليست من الأصول الصحيحة التي يعتمد عليها بل هي كثيرة التصحيف والتحريف والسقط ، ورد عليه أحمد شاکر بقوله : لم يتصفها وقال إنما هناك نسخ أخرى فيها زيادات زادها الحافظ ابن كثير بعد التأليف ولعلنا نزيد ذلك بيانا وإثباتا إذا يسر لنا إخراج التفسير كله في طبعة علمية محققة إن شاء الله وأما التصحيف والتحريف فإنه فيها قليل .

وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

(٣) نسخة دار الكتب المصرية :

وهي مثل النسخة الأزهرية في عدد المجلدات ، وبداية كل مجلد ونهايته .

رمزها :

(٤) نسخة الحميدية بتركيا :

رمزها : ح .

ناسخها : غير معروف .

تاريخها : قال السلامة : لا يعرف تاريخ كتابتها .أ.هـ قلت : بل هي بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١١٦٤ هـ

مجلدان وهي نسخة حديثة وخطها دقيق ومزين بالذهب ومنقولة عن نسخة معتمدة _ ليس عليها أي حواش _ وكثير من الزيادات بها _ وهي غير مقابلة .
وقف عليها السلامة وأبو إسحاق .

النسخ الناقصة :

نسخ مكتبة تشستريتي :

(١) تشستريتي : رقم ٣٤٣٠

رمزها : أ

ناسخها معروف : أحمد بن محمد بن المحب ت ٧٧٦ هـ
آخرها مكتوب اسم الكاتب .

تاريخها : قبل سنة ٧٧٦ هـ وهي مكتوبة في حياة الحافظ ابن كثير .
أولها قال الإمام نفع الله به وأدخله الجنة بمنه وكرمه .
وعلى حواشيتها

(آخر الجزء الأول من أجزاء المؤلف أثابه الله)

آخر الجزء الثاني من أجزاء المؤلف أثابه الله

(آخر الجزء الثالث من أجزاء المؤلف أثابه الله)

.... إلخ . ويلاحظ أنه لا يترحم عليه طيلة الجزء .

مجلد واحد من أول التفسير إلى قوله (إن الذين آمنوا والذين هاجروا) البقرة ٢١٨ وهو
آخر الجزء التاسع من أجزاء المؤلف ، فيها سقط .

وهي نسخة مقابلة . بها حواش كثيرة بخط الكتاب نفسه ويكتب عليها حاشية ويوجد بعض الحواشي بخط مغاير .

قال السلامة وأبو إسحق : بها حواش بخط الحافظ .

وليس ذلك بصحيح بل الحواشي بخط الناسخ نفسه كما سبق وأما الحواشي التي بخط الحافظ نفسه ففي النسخة التالية .

وقد جاء في بدايتها حاشية مسجل عليها : حاشية من خط المصنف ... فنقل الناسخ حاشية كتبها الحافظ على هامش النسخة التالي ذكرها وهي المرموز لها بالرمز ب . وانظر : مقدمة الحافظ ابن كثير .

وكتاب فضائل القرآن بما بعد المقدمة وبعده مقدمة مفيدة ثم شرح الاستعاذة والبسملة والفاحة.... الخ

وهذه النسخة تعتبر من آخر نسخ الكتاب التي استقر عليها أمر الحافظ ابن كثير ولكنها للأسف غير كاملة ويلاحظ القارئ ذلك من خلال ما أثبت من مقابلات معها . وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

(٢) تشتريتي : رقم ٤٠٥٢

رمزها : ب .

ناسخها : غير معروف .

تاريخها : كتبت في حياة المصنف وعرضت بأصله وبقراءته شخصيا وعليها حواش بخطه . وهي نسخة عظيمة لكنها للأسف قطعة .

جزء واحد من أول التفسير وفيه سقط يسير بدأ بقوله فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير وحتى قوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي) البقرة ٤٧

بها حواش كثيرة وتصحيحات . والخط واحد

وهي نسخة مقابلة وعلى حواشها في عدة مواضع :

بلغ مقابلة بأصل المصنف بقراءته . ص ٢٣،١١

وفي بعضها : بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضا بأصله (في نهاية الفاتحة)

وزاد في مواضع : فسح الله في مدته .
وفي بعضها : بلغ قراءة على المصنف معارضا بأصله .
بلغ مقابلة على المصنف فسح الله في مدته معارضا بأصله .
بلغ بقراءة الشيخ عماد الدين متع الله به وفسح في مدته .
بلغ العرض على المصنف فسح الله في مدته معارضا بأصله .
وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

(٣) نسخة مكتبة تشستريتي ومنها صورة بمكتبة الأوقاف ببغداد :

رمزها : العتيقة ١/٣

ناسخها : محمد بن أحمد بن معمر المقرئ البغدادي .

تاريخها : أوائل شهر ربيع الآخر سنة ٧٥٩هـ

الجزء الرابع : من أول الأنعام إلى ٦٠ الأنفال

وهي نفس نسخة الحرم المكي التي فيها الشورى إلى آخر الطلاق ، والتحریم إلى آخر القرآن
خطها جيد وهي نسخة مقابلة وليس بها حواش وعليها تصحيحات قليلة وبها أثر بلل .
وقف عليها السلامة .

نسخ مكتبة الحرم المكي :

الحرم المكي : رقم ٩١ :

رمزها : مك ١/١ ، مك ١/٢/أ

ناسخها : غير معروف .

تاريخها : تبدأ من أول التفسير إلى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه النساء ٣١ وهي ملفقة من

نسختين الخط تغير عند آية ٢٥٥ البقرة آية الكرسي ص ٦٥٥

في نهاية الخط الأول ص ٦٥٣ : السبت ٢٨ جمادى الآخر سنة ١٢٢٦ هـ . وعليها وقفية في

أول الكتاب في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٤٦ هـ .

وخطها جيد وبها كثير من الزيادات _ ليس بها حواش ولا دليل مقابلة _ ولكن عليها
تصحیحات يسيرة _ بها فضائل القرآن _ يوجد أثر بلل في الأوراق .
وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

الحرم المكي : رقم ٩١

رمزها : مك / ٢ / ١ ب

ناسخها : غير معروف .

تاريخها : وهي تكملة للخط الثاني في النسخة السابقة . وتبدأ من أول سورة النحل وتنتهي
بآخر الأحزاب

وقف عليها : السلامة وأبو إسحاق .

نسخة ٣ : الحرم المكي :

ناسخها : غير معروف

تاريخها : ١٤ ربيع الأول سنة ٧٨٠ هـ

من أول الأعراف إلى آخر براءة

نسخة مكتبة جار الله بتركيا :

رمزها : جا

ناسخها : علي بن يعقوب ابن المخلص .

تاريخها : سنة ٧٩٩ هـ

منها مجلدان .

الرابع يبدأ من التوبة وينتهي بالحج (ليس عندي وهو عند أبي إسحق ورمز لها بـ (ف) ولم
يذكر مصدرها) .

الخامس _ هكذا _ : ويبدو أنه السادس يبدأ من القصص حتى آخر الحجرات وهي نسخة خطها جيد ومصححة ومقابلة بأصل بدليل ما على الهوامش من كلمة بلغ وفي بعضها بلغ مقابلة وفي نهاية الجزء وأثنائه كما في آخر العنكبوت قال : بلغ مقابلة بأصله .

وجاء على الهامش عند أول سورة ص : كذا في الأصل .

وجل التصحيحات على الهامش ، وبها إلحاقات يسيرة وبعضها بخط مغاير وعلى آخرها رمز صح .

وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

نسخة مكتبة جار الله :

رمزها :

ناسخها : لا يعرف .

تاريخها : سنة ٨٣٧هـ

آل عمران إلى الآية رقم ٩٥ من المائة

خطها رائق .

وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

نسخ مكتبة المحمودية بالمدينة النبوية :

رقم ٢٨٢ :

رمزها : مح ١

لا يعرف الناسخ ولا التاريخ .

من أول قوله ثم قال اقرأ الحمد لله رب العالمين ... (من تفسير الفاتحة) إلى قوله : (أعيذها بك

وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير (من تفسير آل

عمران آية رقم)

خط مقروء غير مقابلة وعليها تصحيحات يسيرة .

رقم ١٩٢ :

رمزها : مح ١/٢

من أول التفسير : الحمد لله الذي افتتح كتابه وحتى آخر آل عمران .
وليس فيه الفضائل وهي نفس النسخة التالية .

رقم ١٩٧ :

رمزها : مح ٢/٢

لا يعرف الناسخ والتاريخ . وعليها وقفية بتاريخ ١٢٤٩ هـ
من سورة الأنعام (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى) إلى أوائل الإسراء .
نسخة ممتازة وخطها ممتاز غير مقابلة وعليها تصحيحات يسيرة وبها كثير من الزيادات
ويلاحظ وجود حـ هكذا فوق بداية بعض الزيادات .

رقم : ٢٨٠

رمزها : مح ٣

لا يعرف الناسخ والتاريخ عليها وقفية بتاريخ سنة ١١٩١ هـ
جزء واحد قسمان القسم الأول : من أول التفسير الحمد لله الذي أفتح كتابه وحتى
تفسير آية من آيات محكمات من آل عمران
والقسم الثاني منه إلى بداية تفسير قوله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر)
وهي نسخة مقروءة يدل على ذلك البلاغات على الهامش وعليها تصحيحات وبعض
الحواشي وفيها كثير من الزيادات وبعض التصحيحات عليها صح وبعضها عليه خ وبعضها
نسخة ط ، وبعضها نسخة

رقم ٢٨١ :

رمزها : مح ١/٤

لا يعرف الناسخ ولا التاريخ وعليها وقفية بتاريخ ١٢٤٩ هـ
من أول قوله اكتب حتى يسأله عن التفسير كله (من المقدمة) حتى آخر آل عمران .
وهي نسخة مقروءة عليها بلاغات وفي بعضها : بلغ قصاصه .
خطها جيد ومشكولة وعليها تصحيحات بعضها عليه علامة صح وبعضها ن وبعضها ظ .
انقطع التشكيل وتغير الخط في وسط تفسير قوله (أجيب دعوة الداع إذا دعان) ق ١٧٨
وظهر في القسم الجديد علامات مقابلة قليلة وهي الدائرة المنقوطة .
ليس فيها كثير من الزيادات _ وفي آخرها : بلغ مقابلة وتصحيحا على حسب الطاقة
والإمكان الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله آمين .
وهي نفس النسخة التالية .

رقم ٢٨٤ :

رمزها : مح ٤/٢

نفس النسخة السابقة :

من أول النساء إلى (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل) (الأنعام)
وفي موضع على الحاشية قال : كذا في الحاشية وليس بظاهر ... وكذا في المنتسخ ...
وفي موضع قبله (عند قوله قنطارا) : في الأم مالفظه : حاشية ولعله من الأصل ولكن في ربطه
وترتيبه ومحله نظر .

رقم ٢٨٣ :

رمزها : مح ٥

ناسخها : غير معروف

تاريخها : خطها قديم يرجع إلى القرن الثامن أو التاسع .
من قوله : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تجاوز لأمتي في تفسير أوآخر سورة البقرة
، إلى قوله : فليس اليوم يهودي يقرأ عليه التوراة إلا هز وانفض لها رأسه والحمد لله رب
العالمين . في تفسير قوله تعالى (وإذ نتقنا الجبل فوقهم (الأعراف)

وهي غير مقابلة وعليها تصحيحات وزيادات على الحواشي والآيات فيها فوقها خط لتمييزها على طريقة القدماء واحتمال أن تكون بخط المصنف .

رقم (٢٨٥) :

رمزها : مح ٦

لا يعرف الناسخ ولا التاريخ .

من أول الأحزاب

بدأت بخط نسخ جميل أتبعه خط جيد بعد صفحتين فقط .

وهي نسخة مصححة عليها علامات مقابلة قليلة وبلاغات وبعض الحواشي والإحالات

عليها علامات صح ، خ ، ز ، خ

رقم (١٩٥) :

رمزها : مح ٧

لا يعرف الناسخ ولا التاريخ

من أوائل النمل إلى بعض الذاريات (قال فما خطبكم)

خط جيد عليها تصحيحات وهي نسخة مقابلة بما طمس في بعض المواضع وعليها بعض

الحواشي بعضها عليها صح ، خ له ، ظ

تغير الخط في وسط الكتاب مرات وآخر الخطوط نسخ جميل وجعلت الخطوط فوق الآيات

وأسماء المخرجين وبعض المواضع للتيبين وقلت الحواشي والتصميمات وبقي اليسير وأشير

لبعضه خ في الأصل .

وفي ص ١٤٤ كذا في الأصل .

رقم ١٩٤ :

رمزها : مح ٨

لا يعرف الناسخ ولا التاريخ .
من أول الأنفال إلى آخر الشعراء
خطها نسخ جميل وعليها حواش كثيرة وتصحيحات بعضها عليه صح والبعض ح والبعض ن
وبعض هذه الحواشي نقل عن ابن تيمية وابن القيم من مدارج السالكين وجلاء الأفهام
وغيرهما وبعضها عن ابن حجر في الفتح مما يؤكد أن جلها من الناسخ .

النسخة العتيقة

وهي النسخة التي اعتمدها في المقابلة مع الأصل وهي مجموعة من عدة نسخ ولقد سماها
سميها العتيقة

العتيقة (١) : وهي كالأصل من مكتبة آيا صوفيا بتركيا :

ناسخها : معروف وهو عبد الله بن عبد الرحمن التميمي .

تاريخها : انتهى من الأول في محرم سنة ٨٠٤ هـ وانتهى من الثالث في ربيع الآخر سنة ٨٠٦ هـ
من البداية إلى آخر آل عمران .

وهي ثلاثة أجزاء والرابع يبدأ بتفسير سورة النساء وهو غير موجود

وهي نسخة ممتازة عليها حواش كثيرة وإلحاقات وهوامش وشروحات وتصحيحات _ كلها
بخط كاتبها _ وهي مقابلة على نسخة مقروءة على المصنف تتميز بقلة أخطائها ، واستيعابها
أكثر الزيادات إلا أن الملاحظ فيها ما يلي :

أولا : أكثر الزيادات مدرجة داخل المتن وموضوعة بين علامتي ح، إلى وأحيانا بين ح، ح
وبعضها على الهوامش مع وجود إشارة إلحاق في المتن وأحيانا بدون علامة إلحاق ويوجد بعد
جلها دائرة المقابلة وبعضها بين علامتي التصحيح صح ، صح .

ثانيا : بعض الكلمات في المتن يوضع عليها ح ، وبعضها يشرح معناها تحتها أو فوقها وقد يوضع عليها علامة ص أو ط ، وبعضها يكتب فوقها لفظ آخر مشابه لها ، وأحيانا يشرح الضمير الذي في الكلمة تحتها كأن يقول : منهم . فيكتب تحت الضمير كلمة (اليهود) ثالثا : يوجد على الهوامش نقولات عن بعض أهل العلم في شرح بعض ما يتعلق بالآيات ظاهر جدا في جلها أنها ليست من الحافظ ابن كثير . وثبت النص على ذلك في أثر الشعبي في تفسير قوله تعالى (من كان عدوا) في قرن النبوة بإسرافيل أنه من تلميذ ابن كثير . رابعا : يوجد تصحيح لبعض الكلمات على الهوامش وعليها علامة ح . خامسا : تشكيل بعض الكلمات التي تحتاج للضبط . وقد قررت عند المقابلة عليها ما يلي :

- ١ - ما ترجح أنه من كلام الحافظ وزياداته أثبتته في المتن وأشير في الحاشية لما يطمئن النفس لذلك كتنبه على وجود هذه الزيادات في النسخ المساندة وعلى وجه الخصوص أ ، ب .
- ٢ - البقية من جميع ما تقدم أثبتتها في الحاشية خوفا من الخطأ في الاجتهاد وإبقاء للقائده التي فيها .
- ٣ - مالم تتضح قراءته من تلك الزيادات والحواشي وغيرها أشير إليه في الحاشية . وما زلت أقول ياليت هذه النسخة كملت وقد ظننا البعض كاملة (١) فخلط بينها وبين نسخة أيا صوفيا الأخرى التي اعتمدها أصلا ولكن لله الحمد أولا وأخيرا .

العتيقة ٢ : من المحمودية وهي المرموز لها : مح ه
من آل عمران إلى آخر الأعراف (وإذ نتقنا) .

(١) انظر الحويني ، وقد ذكرها بروكلمان بعدة أرقام فظنها السلامة كاملة وكلف من يبحث عنها فوجدها أرقاما لتفسير معالم التنزيل للبغوي

العتيقة ٣ :

وهي من : تشستريتي ١/٣ الجزء الرابع ، من المكية ٢/٣ الجزء التاسع والعاشر
وتفاصيلها في تشستريتي .

الجزء العاشر : من التحريم إلى آخر القرآن وفي آخره : آخر التفسير ويتلوه فضائل القرآن
للمؤلف أيضا وبه يتم الكتاب إن شاء الله

وقال في آخر الفضائل : آخر كتاب فضائل القرآن وبه تم التفسير للحافظ العلامة

ناسخها محمد بن أحمد بن معمر المقرئ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخر سنة ٧٥٩هـ

والثلاثة أجزاء موجودة بمكتبة الأوقاف ببغداد .

وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

العتيقة ٤ : من الحرم المكي :

ناسخها : غير معروف الكاتب

تاريخها : سنة ٧٨٠هـ

مقابلة وعليها تصحيحات يسيرة .

وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

العتيقة ٥ : جار الله

سنة ٧٩٩هـ

من التوبة إلى الحج .

العتيقة ٦/١ : طوب ٥

طوبقبو سراي

سنة ٧٦٩هـ

نفس النسخة التالية من أول المؤمنون إلى آخر الأحزاب .

العتيقة ٢/٦ : الحرم المكي :

ناسخها : محمد بن بهاء الدين الشجاعى

تاريخها : فى العشر الوسط من ذى القعدة سنة ٧٦٩هـ

نسخة مقابلة وعليها تصحيحات يسيرة وفي آخر ورقة من بلغ مقابلة بأصل المؤلف من أول سبأ إلى آخر فصلت .

وقف عليها السلامة وأبو إسحق .

ملاحظة : كتاب الكواكب الدراري اعتبره أبو إسحاق نسخة من نسخ الكتاب وهو خطأ فكون الكتاب يستفيد من تفسير الحافظ لا يعد بذلك نسخة منه فالكتاب هو الكواكب الدراري فى ترتيب مسند أحمد بن حنبل على أبواب البخاري لابن عروة الحنبلي الشهير بابن زكنون وبها مقتطفات منقولة من التفسير ولا يعتمد عليها فى المقابلة لاحتمال التصرف .

النسخ التي لم أقف عليها :

جامعة الملك سعود بالرياض رقم ٤٠٥٢ :

ناسخها : غير معروف .

تاريخها : ١١٥٥هـ أو بعدها بقليل

تبدأ من آية ٣١ النساء تنتهى ٣٦ التوبة

حديثه ، يغلب عليها الاختصار وحذف الأسانيد .

وقف عليها السلامة وهي عن أبي إسحق برمز

جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض :

ناسخها : سعد بن كشران .

تاريخها : لا يعرف .

من أول الكتاب إلى آخر آل عمران

حديثه .

وقف عليها السلامة وهي عند أبي إسحق برمز

مؤسسة الملك فيصل بالرياض :

كاتبها : عبد العزيز بن عبد الله بن عامر

تاريخها : كتبت سنة ١٢٩٤هـ

من أول الكتاب حتى آخر آل عمران .

حديثه .

وقف عليها السلامة وهي عند أبي إسحق ولكنها تزيد ١١ ورقة عما أثبتته السلامة .

ملحوظات :

- النسخة الأصل يثبت فيها همزة ابن بين العلمين .
- الزيادات في العتيقة مضرب على جلها بعلامات الزيادة ، ويوجد عليها شروح وتصحيحات وزيادات أحيانا ليست من صلب الكتاب .
- هناك مواضع يكون النص في بعض النسخ متقدما على مكانه في نسخ أخرى وأحيانا يوجد جزء منه في البعض والبقية غير موجودة .

رابعا : الطبعات الموجودة التي وقفنا عليها لهذا التفسير ونظرات سريعة فيها :

قد قام بتحقيق جزء من تفسير ابن كثير الدكتور محمد عبد الله صالح الفالح من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٩٩٩ م وهي من أول القرآن إلى آخر الجزء الأول ونال بها درجة الدكتوراه من قسم القرآن وعلومه إشراف محمد عبد الرحمن صالح الشايع . ولم يتيسر لي الوقوف عليها .

وطبع الكتاب مرات كثيرة (١)، بطبعات مستقلة في أربع مجلدات كبيرة من القطع العادي ، وفي آخر فضائل القرآن . كما طبع مع غيره أحيانا كطبعته مع تفسير البغوي مرة ومع تفسير البيان في مقاصد القرآن . لحسن صديق القنوجي البخاري مرة أخرى (٢)، وطبع مستقلا بدار الأندلس في بيروت في سبع مجلدات .
ومن الطبعات التي طبع بها الكتاب :

- طبع لأول مرة في المطبعة الأميرية ببولاق منذ أكثر من قرن من الزمان وذلك سنة

١٣٠٠ هـ بهامش تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان .

وكذا في سنة ١٣٠٢ هـ ثم في أره في ١٣٠٧ هـ ثم في القاهرة ١٣٤٥ هـ (٣)
قال عنها أحمد شاكر : وهي طبعة محرفة لا يكاد ينتفع بها نفعا صحيحا .

- طبع للمرة الثانية سنة ١٣٤٢ هـ في مطبعة المنار بإشراف صاحبها الشيخ محمد رشيد رضا بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود مع تفسير البغوي في تسعة مجلدات .
وكذا في سنة ١٣٤٧ هـ .

قال عنها أحمد شاكر : اجتهد أستاذنا رحمه الله في تصحيحه ما استطاع ولكن فاته من ذلك الشيء الكثير . ٦/١ وقد انتقده بتفصيل أوسع في ٢١/١
ثم تداولت الكتاب طبعات تجارية اعتمادا على طبعة المنار في الغالب :

(١) يوجد في مكتبة الأسد وحدها إحدى عشرة طبعة لتفسير ابن كثير من دمشق ، وبيروت ، والقاهرة .

(٢) طبع تفسير ابن كثير مع فتح البيان بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، بالمطبعة الكبرى بالمنيرة ١٨٨٢ م ، في عشر أجزاء ، ضمن خمس مجلدات .

(٣) انظر : معجم المطبوعات ص ٢٢٦ ، ذيل تاريخ الأدب ٤٩/٢

- فقد طبع مستقلا سنة ١٣٥٦هـ بمطبعة مصطفى محمد بالقاهرة . ()
- وكذا سنة ١٣٧٢ هـ بمطبعة عيسى البابي الحلبي في ٤ مجلدات . وعلى طرفتها : قوبلت
هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية وصححها نخبة من العلماء .
- وكذا سنة ١٣٨٦هـ بمطبعة دار الفكر ببيروت في ٧ مجلدات متوسطة .
- وكذا سنة ١٣٨٨ هـ - ناشرها دار إحياء التراث العربي ببيروت وهي مصورة من طبعة
البابي الحلبي .

- حتى قامت بطبعه أول طبعة فيها شيء من التحقيق العلمي دار الشعب سنة
١٣٩٣هـ - في ٨ مجلدات حيث رجع المحققون وهم الأساتذة عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد
عاشور ومحمد إبراهيم البنا إلى مخطوطة الأزهر فقط وقاموا بجهد مشكور في عزو الأحاديث
المرفوعة لاسيما للمسند والصحيحين كما قاموا بتعليقات لغوية مفيدة إلا أنه بسبب عدم
المقابلة كثر فيها السقط والتصحيف وقد تعقبها بالنقد الدكتور إسماعيل عبد العال في كتابه
ابن كثير ومنهجه في التفسير . انظر ص ١٢٨

ثم طبع طبعات كثيرة اعتمد بعضها على طبعة الشعب والبعض الآخر ماسبقها وقليل منها
حظي بشيء من التحقيق والمقابلة كما سيأتي بيانه .
ومن هذه الطبعات نذكر بعض ما وقفنا عليه :

- طبعة مكتبة التراث الإسلامي بحلب بسوريا في أربعة مجلدات سنة ١٤٠٠هـ بدون
تحقيق أو مقابلة .

- طبعة دار المعرفة وتعتبر مكتملة اكتمالا جيدا إلا أنه وجدت بعض المواضع ذات نقص
وهي قليلة ومن ذلك في سورة البقرة عند قوله (وكنتم أمواتا فأحياكم):

قال :لا يعلمون ﴿١﴾ . (وعبر عن الحال قبل الوجود بالموت لجامع ما يشتركان فيه من عدم
الإحساس) كما قال في الأصنام

فالذي بين القوسين ساقط منها .

() انظر : الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة بين ١٩٢٦، ١٩٤٠ م ص ٢٥ .

وقال السدي : عن حدثه ، عن ابن عباس ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ قال : قال آدم عليه السلام : يارب ! ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى . ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى . (وعطست فقلت : يرحمك الله ، وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل : بلى . وكتبت علي أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى) . قال : أفرايت إن تبت ! هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

ما بين القوسين ساقط .

ومن المواضع التي سقطت من جل الأصول وهي ثابتة في تلك الطبعة قوله قبل قلنا اهبطوا : وذكرنا في المسند الكبير من طريق سليمان بن سليم عن ابن بريدة _ وهو سليمان _ عن أبيه عن النبي ﷺ قال : لما أهبط الله آدم إلى الأرض ، طاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي ، فاقبل معذرتي . وتعلم حاجتي ، فأعطني سؤلي . وتعلم ما عندي ، فاغفر ذنوبي . أسألك إيمانا يياشر قلبي ، ويقينا صادقا ، حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي . قال : فأوحى الله إليه : إنك قد دعوتني بدعاء استجيب لك فيه ، ولمن يدعوني به ، وفرجت همومه وغمومه ، ونزعت فقره من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وأتته الدنيا وهي كارهة ، وإن لم يردها . رواه الطبراني في معجمه الكبير . وفيها بعض تصحيفات عما هنا .

ومن الزيادات عن الطبعة ما عند قوله (من كان عدوا لله وملائكته) عن علي بن الحسين .

- طبعة دار الأرقم بالكويت سنة ١٤٠٥هـ خرج أحاديثها شيخنا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ولم تكتمل ووصل فيها إلى تاريخ كتابة هذه المقدمة إلى قوله تعالى () وهي طبعة سقيمة جدا من جميع النواحي ويبدو أن الشيخ إنما علق عليها من حفظه أو على عجاله من أمره في المواضع التي علق عليها وهي قليلة ، وهي بالطبع غير مقابلة على شيء من النسخ الخطية ولم يقدم لها إلى غير ذلك من سلبيات .

- طبعة دار الفيحاء بدمشق مع دار السلام بالرياض سنة ١٤١٤هـ مقابلة على مخطوطة دار الكتب المصرية فقط وبدون تحقيق وقد قدم لها عبد القادر أرناؤوط .

- طبعة دار ابن الجوزي بالدمام سنة ١٤١٧هـ بتحقيق أبي إسحق الحويني الأثري وهي طبعة جيدة مقابلة على عدة نسخ خطية بدون دقة مخرج فيها الأحاديث تخريجا مطولا خرج به صاحبه عن المقصد من تحقيق الكتاب مع إهمال جوانب عديدة كانت أولى بهذا الاهتمام وتتميز بالحكم على بعض الآثار مع عزوها ولم تكمل هذه الطبعة وإنما خرج منها مجلدان في خلال ست سنوات تقريبا الأول تضمن كتاب فضائل القرآن حتى نهاية تفسير سورة الفاتحة والثاني إلى قوله تعالى () من سورة البقرة مع سوء في الإخراج والصف . وتم تجهيز المجلد الثالث وينتهي بنهاية سورة البقرة ولم يدفع للطباعة

ومن التعقبات على هذه الطبعة :

أولا : من غرائب ما وقع بها ما جاء في ترجمة الحافظ ابن كثير حيث نقلها بنصها من مقدمة أحمد شاكر ونبه على ذلك في الحاشية إلا أنه فيما يبدو دفع الترجمة برمتها كما هي في كتاب أحمد شاكر للطابع فنقل الطابع حواشي أحمد شاكر فكان مما نقل في الحاشية تعليق على كتاب اختصار علوم الحديث وفيه :

طبع أول مرة في مكة المكرمة ... بتصحيح أخيها العلامة الكبير الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة أحد كبار المدرسين الآن بالحرم المكي... الخ
مما أوهم أن هذا كلام أبي إسحق .

ثانيا : لقد بذل المحقق جهدا مضنيا في ضبط النص لا يعرف ذلك إلا من عانى معاناته ولكنه للأسف أخرج نصا ملفقا من نسخ الكتاب فلا ندري ما هي النسخة الأصل التي اعتمدها وما هي النسخة التي قابل عليها وهذا خلل في المنهج العلمي في التحقيق أضع كثيرا من قيمة العمل المضني الذي قام به تقبل الله منه وجعله في ميزان حسناته ولعل ذلك بسبب عدم دراسته للعلوم الشرعية أكاديميا .

وقد صرح بهذا التلفيق في أول الكتاب حيث قال معلقا في الحاشية عند سوجه لألقاب ابن كثير : هذه الألقاب لم تنتظم كلها في نسخة واحدة وقد لفقتها من ج ، ك ، ل ، ي .
كما أنه اهتم بإثبات فروقات لا قيمة لها والاختلاف فيها بين النسخ مشهور كزيادة ثناء على الله أو صلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك .

وقد اعتمد زيادات واختلافات في نسخ غير معتمدة مثل النسخة ن .

عند دراسة المخطوطات ذكر بعضا منها ولم يذكر مصادرها مثل رقم ١٧ ورمز لها : ن وهي نسخة مؤسسة فيصل بالمملكة ، ١٨ (هـ) ، ١٢ (ف) ، ١٣ (ق) .
وبعضها ذكر البلد ولم يذكر المكتبة مثل رقم ٨ ورمز لها : ش ، ورقم ٩ ورمز لها : ص وهي نسخة جار الله .

ثالثا : إطالة تخريج الأحاديث مع عدم الحاجة كما سبق ذكره وكان الأولى أن يهتم بالآثار التي لم تخدم خدمة وافية ويلاحظ أن المحقق كان يهملها إن لم تكن قريبة المنال .
رابعا : وقع المحقق في أمر عظيم وهو تدمير كم هائل من التفسير بالمأثور حيث حكم عليه بالضعف لتبنيه أشد الأقوال في النقد وقد حاول تبرير فعله ذلك ضمنا بما ذكره في مقدمة تحقيقه من مكاتبة للشيخ الألباني رحمه الله واستشارة للشيخ بكر أبو زيد حفظه الله حول تطبيق منهج المحدثين في نقد روايات التفسير ، ولكن هذا الاعتذار لا يفيد لأنه في الحقيقة لم يطبق المنهج تطبيقا صحيحا ولو طبقه تطبيقا صحيحا لما أهدر جهود أئمة هذا الشأن الذين تعلمنا منهم والكل عالة عليهم كابن أبي حاتم مثلا حيث انتقى أصح الروايات التفسيرية وأفى فيها عمره وقام الأخ الكريم بجرة قلم فنسف جلها لأن الأرجح عنده خلافا لجمهور أئمة هذا الشأن ضعف تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس وضعف نسخة محمد بن أبي محمد بسنده عنه إلى غير ذلك .

كما أنه لم يفرق بين النسخ التفسيرية وبين الرواية من الحفظ ، وبين من برز في علم التفسير وكان راوية له وإن كان ضعيفا في غيره وبين من لم يكن كذلك .

في حين تساهل تساهلا غريبا في تحسين إسناد تفسير السدي جملة وتفصيلا خلافا لأئمة الشأن وخفي عليه التفصيل الذي ذكرناه في دراسة الأسانيد واحتج في بعض كلامه بالفرق بين رواية الكتاب وبين رواية الحفظ التي خفيت عليه في غير هذا الموضوع

- طبعة دار عالم الكتب بدون تحقيق ولا مقابلة سنة ١٤١٦هـ في أربعة مجلدات .

- طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت سنة ١٤١٧هـ في أربعة مجلدات بدون تحقيق ولا مقابلة وقدم لها محمد عبد الرحمن مرعشلي وأعد فهارسها رياض عبد الله

- طبعة دار الفكر سنة ١٤١٨هـ بدون مقابلة وبتحقيق ضعيف لحسين بن إبراهيم زهران

في أربعة مجلدات .

- طبعة دار طيبة بالرياض سنة ١٤١٨ هـ بتحقيق سامي بن محمد السلامة وهي طبعة جيدة مقابلة على عدة نسخ خطية مع اهتمام بعزو الأحاديث وتخريج بعضها .
وتعتبر من حيث الجودة في المرتبة التالية لطبعة مكتبة أولاد الشيخ الآتي ذكرها .

ومن الملاحظات عليها :

لا يحرر الخلاف بين الطبعات في أسماء الرواة .
لا يضبط الكلمات الغربية ولا يشرح معناها .
كثير من الآيات لا يعزوها .

يثبت فيها : حدثنا بدل ثنا ، الله تعالى ، رضي الله عنه . وليست موجودة
نقل جل مقدمته من مقدمة أحمد محمد شاكر فلم يشر لذلك إلا في مقطع واحد منها فأوهم
أن الباقي من كلامه هو وهذا غير صحيح .

وكان الأخ المحقق حريصا على إضافة أي زيادة حتى ولو كانت خطأ ظاهرا ولو أنه أشار إليها
في الحاشية كان الامر مقبولا نوعا ما إلا أنه يجعلها في صلب الكتاب وأذكر هنا مثلا واضحا
في ذلك ففي ١٤/١ نقل النص المحقق هكذا .

فيما قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي الزناد [عن
الأعرج] قال قال ابن عباس الخ

ثم أشار في الحاشية إلى أن ما بين القوسين زيادة من نسخة مساعدة بجامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية والصواب أن هذه الزيادة غير صحيحة فإنها

أولا : غير موجودة في المصدر المنقول منه وهو تفسير ابن جرير بطبعاته المتداولة .

ثانيا : غير موجودة في مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية والتي في المصدر الأساس لكلام
الحافظ ابن كثير .

ثالثا : غير موجودة في النسخ الأم التي أعتمدها المحقق ولا في غيرها من النسخ المعتبرة ولا في
شيء من الطبعات السابقة للتفسير .

رابعا : أن النسخة المساعدة المذكورة لا يوثق بها فقد ذكر الأخ المحقق نفسه أنها حديثة وتاريخها قريب فيما يظن وهي وقف على أهل بلدة الحريق قرب الرياض وهي قطعة تنتهي بنهاية سورة آل عمران .

وهذه الزيادة مؤثرة فيها يصح الأثر وبدونها منقطعا ويبدو أن الناسخ وهم في إضافة كلمة الأعرج سيرا على الجادة فإن أبا الزناد مكثر من روايته عن الأعرج وقد يكون هو الواسطة هنا إلا أنه غير ثابت ذكره في السند والله أعلم .

من مواضع الزيادة على طبعة السلامة : عند قوله (الرحمن الرحيم) حيث لم يذكر مانقله ابن كثير عن القرطبي وهو في النسخة العتيقة وقد نبهت عليه هناك . وكذا عند قوله : مالك يوم الدين .

وكذا في المقدمة قوله : وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر

ومن سلبيات طبعة السلامة أيضا :

اعتماده على مطبوعة الشعب التي أصلها النسخة الأزهرية فهو أصلا لم يعتمد مخطوطة ثم عندما اعتمد كان اعتماده على مطبوعة أصلها مخطوطة غير مكتملة ومع ذلك يقول أحيانا أطلق عليها الأصل . ٣٤/١

وأما نسخته الثانية فالحميدية وهي حديثة ولا يعرف ناسخها ولا تاريخ النسخ وكأنها في القرن الثاني عشر (ثبت ذلك بعد النظر فيها) . ومن النسخ الكاملة المتوفرة : د نسخة أيا صوفيا وهي أقدم من الحميدية ومعروف تاريخها وناسخها فهي أولى سنة ١٠٨٢ هـ . عدم وقوفه على النسخ الكاملة الأخرى حيث لم يقع له نسخة كاملة سوى الحميدية مع تأخرها .

وعليه فلم يعتمد نسختين إحداهما أصلا والأخرى للمقابلة وإنما لفق بين النسخ وأخل كثيرا في ذلك وأضاع حواشي كثيرة .

- طبعة دار الكتب العلمية ببيروت لبنان سنة ١٤١٩ هـ منشورات محمد علي بيضون في تسعة مجلدات الأخير منها فهرس . بدون مقابلة وعليها تعليقات ضئيلة وشرح لبعض الكلمات لمحمد حسين شمس الدين .

- طبعة مؤسسة الريان سنة ١٤٢٠هـ في خمسة مجلدات صغار الأخير منها فهارس بدون مقابلة ولا تحقيق .

- طبعة المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٤٢٠هـ بدون مقابلة ولا تحقيق ولا تعليق في أربعة مجلدات .

- طبعة دار صادر ببيروت سنة ١٤٢٠هـ بإشراف محمود عبد القادر الأرنؤوط بدون مقابلة ولا تحقيق في خمسة مجلدات .

- طبعة دار ابن حزم سنة ١٤٢٠هـ بدون مقابلة ولا تحقيق في مجلد واحد فاخر .

- طبعة مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢١هـ بتحقيق ضعيف لمحمد أنس مصطفى الخن استعان فيها بمخطوطة الحرم المكي وقدم لها مصطفى سعيد الخن وهي في مجلد واحد فاخر .

- طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث بمصر سنة ١٤٢١هـ وهي آخر طبعة وقفت عليها مع بدايات عملي في الكتاب وهي طبعة كاملة في خمسة عشر مجلدا تتضمن في أولها كتاب فضائل القرآن وهي مقابلة على نسختين النسخة الأزهرية ونسخة دار الكتب المصرية وحققتها فريق من الباحثين وهم : مصطفى السيد محمد ، ومحمد السيد رشاد ، ومحمد فضل العجاوي ، وعلي أحمد عبد الباقي ، وحسن عباس قطب .

وهي طبعة جيدة في الجملة وجهد مشكور ممن قاموا به وأسأل الله تعالى أن يثيبهم ويتقبل عملهم وطبعتهم تعتبر أفضل طبعة كاملة موجودة حاليا إلا أن الملاحظات عليها تعتبر قوية فمما لاحظته :

أنهم قد نقلوا أيضا ترجمة ابن كثير بنصها من مقدمة أحمد شاکر وكذا نقلوا منهج ابن كثير في تفسيره عن رسالة الحافظ ابن كثير ومنهجه في التفسير للدكتور إسماعيل سالم رحمه الله بتصريف واختصار .

وأما منهجهم في التحقيق فأجملوه في كلمات مقتضبة توضح محدودية خدمتهم للكتاب فبعد أن قالوا : قمنا بمقابلة الكتاب على نسختين خطيتين كاملتين وأثبتنا الفروق بينهما ... فذكروا النسختين قالوا :

قد قمنا بتخريج أحاديث الكتاب ، والحكم على بعض الأسانيد من خلال دراسة رجال الإسناد ، بناء على القواعد التي وضعها أهل العلم في هذا الفن .

وقد اتبعنا منهجا وسطا في تخريج الأحاديث ، حتى لا نسود الصفحات بما لا فائدة منه ، وهذا منهجا في تخريج الأحاديث كما يلي :

إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بعزوة إليهما ، وربما نعزوه إلى الكتب الستة وغيرها ، وذلك إذا نسب المؤلف إليه ، وهذا من باب التوثيق لأقوال المصنف .

وأما إذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين فإننا نستقصي على قدر وسعنا في التخريج لا سيما إذا كان الحديث مما ضعفه أهل العلم ، فنبين سبب ضعفه ، فإن كان له شاهد يصح أن يحسن به ولم يذكره المؤلف ذكرناه ، وأتبعناه بالأحاديث التي وردت في معناه .

كما أننا عرضنا نصوص الأحاديث على كتب الستة الأصول ؛ فإن وجدنا نقصا أو زيادة في المعنى ذكرنا ذلك في الحاشية ، وأحيانا نضع الزيادة بين معكوفتين في الأصل وننبه على ذلك في الحاشية ، وإذا كان الاختلاف يسيرا كأن يكون في حرف عطف أو في كلمة النبي أو الرسول تركنا ذلك على حاله .

وقد ضبطنا سلاسل الأسانيد التي ذكرها المصنف في خلال الأصول التي اعتمدنا عليها في التخريج ، مع استعانة أيضا بكتب الرجال... فذكروا بعضها .

هذا كل ما ذكره في منهج التحقيق وعلى ذلك ملاحظات من وجوه عدة :

أولا : النسخة الأزهرية في الحقيقة لا تعتبر كاملة إذ إن أكثر من ثلث الكتاب على وجه التقريب غير موجود فيها وانظر دراسة النسخ فأصبح أكثر من ثلث الكتاب معتمدا على نسخة واحدة .

ثانيا : الكتاب له أكثر من عشرين نسخة في العالم وبعضها أقدم وأكمل وأوثق من هذه النسخة المعتمدة لديهم ، ولم يعتبر الباحثون أيا من النسخ المساعدة .

ثالثا : الإخوة حفظهم الله لم يلتزموا المنهج العلمي في مقابلتهم فلا ندري ما هي النسخة الأصل وما هي النسخة المقابلة . وكذلك ما أتفوننا بدراسة لهاتين النسختين ولا بينوا لنا ما هي الرموز المستخدمة للتفريق بينهما . ولكني ظهر لي أنهم رمزوا للأزهرية بالرمز (ز) ولا أدري ما هو الرمز بالنسبة لنسخة دار الكتب ولعله (م) .

رابعا : العجب ورود رموز أخرى في الحاشية كقولهم : في (خ) ، في (ت) ، في (ر) وقولهم في بعض المواضع : زيادة من : ز ، خ . وفي البعض الآخر : سقط من : ز ، خ . وليت شعري ماهي النسخة المعتمدة لمعرفة ما زاد عليها وما سقط منها ؟ وهذه الرموز تشير لأي النسخ ؟

خامسا : لقد فاتهم زيادات كثيرة بسبب اقتصارهم في الواقع على نسخة واحدة .
سادسا : بالنسبة لخدمة الكتاب فقد اضطرب منهج التخريج والحكم على الأحاديث لتعدد الباحثين واختلاف مستوياتهم وهذا واضح لأي متخصص ينظر في مواضع مختلفة من العمل مع ملاحظة عدم تبين نسبة العمل لمن منهم على وجه التحديد ، كما أن المذكورين وفقهم الله يعتبرون من المغمورين وكان ينبغي التعريف بهم علميا وإلا فكيف يوثق بعملهم ؟
سابعا : أين الباحثون عن أحاديث عدة لم يخرجوها أو لم يبينوا حكمها وأين هم عن الآثار التي أهمل جملها وأين هم عن المواضع التي تحتاج إلى تحرير وتعليق ... إلى غير ذلك من خدمات لم تيسر في هذه الطبعة .

ثامنا : وقعوا في أخطاء علمية وأحكام جائرة على بعض الروايات التفسيرية كغيرهم مثل تضعيفهم مثلا نسخة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونسخة محمد بن أبي محمد بإسناده عن ابن عباس وغير ذلك مما قبله أهل العلم وبيناه في دراستنا للطرق .

المختصرات :

وأما المختصرات المطبوعة فهي كثيرة جدا فقد أقبل على اختصاره جماعة من المشتغلين بالعلم ومما يؤكد أهمية تفسير ابن كثير عكوف العلماء عليه ، وقيامهم باختصار في عصره ، فقد لخصه في نفس حجم الأصل شمس الدين محمد بن علي العلي المعروف بابن اليونانية (٧٠٧-٧٩٣ هـ)

ثم اختصره عفيف الدين بن مسعود بن سعد الكازروني (المتوفى حوالي ٩٤٠ هـ) في كتابه **البدر المنير الملخص لتفسير ابن كثير** مكتبة نور عثمانية باستانبول تركيا برقم ٣٨٨ وقد طبع وعلى هامشه أصله سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م^(١). ثم سجل مشروع رسائل علمية

(١) ابن كثير ، حياته ص ٩٢ .

بجامعة الإمام بالرياض - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه في مشروع علمي مقسم على أربع رسائل ، مع مقارنته بأربعة مختصرات لتفسير ابن كثير (تيسير العلي القدير / عمدة التفسير / لباب التفسير / المصباح المنير)

وقام بتحقيق المقدمة والفاصلة منه ، وجزء عمّ كاملاً الدكتور محمد العواجي ولا زال يواصل العمل به لإبراز مميزاته وفروقه عن الأصل وعن مختصر العمدة لأحمد شاعر

وفي عصرنا المتأخر أقبل على اختصاره جماعة من المشتغلين بالعلم

- فكان أفضل اختصار له هو كتاب عمدة التفسير للشيخ أحمد محمد شاعر المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ حيث اعتمد مخطوطة الأزهر وخرج جملة من أحاديثه وحكم عليها ورسم له خطة محكمة حاول الالتزام بها ، لكنه اخترمته المنية قبل أن يتمه وقد وصل فيه إلى تفسير قوله تعالى (إذ تستغيثون ربكم) الأنفال ٩

وقد طبع في دار المعارف بمصر في خمسة أجزاء ثم في دار المدني في مجلدين بدون تاريخ .
وصرح الشيخ شاعر بهدفه من العمل فقال : " وقد بدا لي أن أقوم بالعملين ، نشر هذا التفسير في طبعة علمية محققة متقنة ، وإخراج مختصر منه للقارئ المتوسط يحفظ عليه مقصده إن شاء الله ذلك ، ويسره ، ووفقني له " () .

منهج الاختصار :

- ثم حدد الشيخ شاعر منهجه في اختصار تفسير ابن كثير بفقرات عديدة من أهمها قوله :
- حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير ، الميزة التي انفرد بها عن جميع التفاسير التي رأيناها ، وهي تفسير القرآن بالقرآن .
 - حافظت على آراء الحافظ المؤلف وترجيحاته في تفسير الآيات ، مجتهدا في إبقاء كلامه بحروفه ما استطعت .
 - اخترت من الأحاديث التي يذكرها أصحابها وأقواها إسناداً ، وأوضحها لفظاً .
 - حذف أسانيد الأحاديث التي أذكرها .

() عمدة التفسير ٧/١ .

- اكتفيت من ذلك بذكر الحديث عن الصحابي راويه ، أو التابعي إذا كان الصحابي غير مسمى ، ثم أذكر بعد ذلك من رواه من الأئمة .
- حذف كل حديث ضعيف أو معلول ، إلا لضرورة علمية .
- حذف المكرر من أقوال الصحابة في التفسير ، وكثير من آراء التابعين .
- نفيت عن كتابي كل الآراء الإسرائيلية وما أشبهها ، فإن المؤلف أثبت طائفة منها غير قليلة .
- حذف أكثر ما أطال به المؤلف رحمه الله تعالى من الأبحاث الكلامية ، والفروع الفقهية، والمناقشات اللغوية واللفظية .
- رأيت أن أقتصر (في الأحاديث المطولة) على موضع الشاهد منها .
- وأصنع مثله في الأحاديث التاريخية () .
- وقد أتم مختصر أحمد شاعر الشيخ أنور الباز .
- ثم اختصره الشيخ محمد نسيب الرفاعي اختصارا راعى فيه منهج السلف في جانب العقائد وسماه تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير وطبع هذا الكتاب عدة طبعات أولها عام ١٣٩٠ هـ وقد وقفت على طبعة مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤١٠ هـ وهي في ثلاثة مجلدات وعمل صاحبه فيه الاختصار والتعليق واختيار أصح الروايات هكذا ذكر بنفسه وقد حاول جهده الالتزام بما ذكر إلا أن تحقيق ذلك لا يكون إلا بعد دراسة تامة للأصل وتحقيق لنصه وزياداته ثم بعد ذلك اختصاره . إلا أنه يعتبر أفضل مختصر كامل وقد أثني عليه جماعة من أهل العلم نقل كلامهم في مقدمة الكتاب ومنهم سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله .
- ثم اختصره الشيخ محمد علي الصابوني فتم له ذلك وسماه مختصر تفسير ابن كثير ولكنه لم يلتزم بما شرطه في اختصاره وانتقده الشيخ محمد جميل زينو في مواضع خاصة تتعلق بالعقيدة وقد طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات عدة طبعات بألاف من النسخ بدار القرآن

() عمدة التفسير ٩/١ وما بعدها حتى ص ٢٣ .

الكريم بيروت سنة ١٣٩٣هـ ثم سنة ١٣٩٩هـ ثم سنة ١٤٠٢هـ وهي الطبعة السابعة. ووزع مجانا في بلاد عديدة على نفقة أحد التجار الكبار ويدعى حسن عباس الشربتلي .

- ثم اختصره الشيخ محمد كريم راجح في مختصر تفسير ابن كثير ، وقد طبع الكتاب بدار المعرفة ببيروت سنة ١٤٠٩ هـ الطبعة الرابعة .

- ثم اختصره الدكتور عبد الله بن محمد بن إسحق آل الشيخ فتم له أيضا وطبع في أربعة مجلدات سنة ١٤١١هـ باسم لباب التفسير من ابن كثير على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وهو مختصر جيد في منهجه إلا أنه بدون أي تحقيق لشيء من الروايات . وقد راجع طباعته وصححها الدكتور عبد الكريم أمين عثمان النواوي .

__ فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير للقاضي محمد أحمد كنعان، وهو من أحسنها

__ تهذيب تفسير ابن كثير للدكتور صلاح الخالدي

__ اليسير في اختصار تفسير ابن كثير ، د. صلاح محمد عرفات ، محمد الشنقيطي وخالد فوزي عبد الحميد بإشراف الشيخ صالح بن حميد .

__ المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير _ جماعة من العلماء بإشراف صفى الرحمن المباركفوري قطع في مجلد واحد ضخم بإخراج ممتاز سنة ١٤١٩هـ - وصدر منه طبعتان وقد عني بتخريج بعض أحاديثه .

__ فتح الجواد الكريم في اختصار وتحقيق تفسير القرآن الكريم للحافظ ابن كثير اختصار / أبي عبد الرحمن محمد بن إبراهيم بن عطية وقد قدم لهذا العمل الشيخ / محمد عبد الله بن الصديق الشنقيطي ، مفتي محكمة أبو ظبي الشرعية طبعته دار البارودي - لبنان .. ولكن لم يكتب على الكتاب اسم الدار ، لأن بعض المحسنين - جزاه الله خيرا - تكفل بمصاريف الطباعة .

وقد طبعت - أيضا - عملا آخر لذات المؤلف على تفسير ابن كثير ؛ باسم (تيسير تفسير ابن كثير) وقد اطلع المختصر على المختصرات السابقة - كما ذكر في المقدمة - وذكر نقده لها نقداً علمياً ، كمختصر العلامة / أحمد شاکر ، ومحمد الرفاعي ، ومحمد الصابوني ، ومحمد راجح ، وكذلك المصباح المنير الذي أشرف عليه / المباركفوري . وقد اجتهد المختصر

في تحقيق الكتاب وتخريج نصوصه تخريجاً وافياً بما يراه القارئ . وقد خرج في طبعة ممتازة للغاية في أربع مجلدات .

كتاب فضائل القرآن :

سبق عد هذا الكتاب في مؤلفات الحافظ ابن كثير وقد ذكره مستقلاً بروكلمان في ذيل تاريخ الأدب العربي ٤٩/٢ وقد طبع مستقلاً عام ١٣٤٧هـ بمطبعة المنار وطبع بتحقيق سعيد عبد المجيد محمود ونشرته دار الحديث بالقاهرة عام ١٤١٠هـ وطبع مع التفسير في عدة طبعات . وقد جاء هذا الكتاب في نهاية بعض النسخ الخطية من التفسير وجاء في بداية البعض الآخر مما يقوي أن كتاب الفضائل سابق لكتاب التفسير قول ابن كثير في تفسير الصراط المستقيم : رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات وقد تقدم في فضائل القرآن . إلا أنها زيادة في النسخة العتيقة ليست في الأصل ، لكنها غير مضبب عليها بالزيادة . وفي جميع ما وقفت عليه من طبعات للكتاب جاء في نهاية بعضها بعد التفسير ومن ذلك : طبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧هـ

طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت ١٤١٧هـ

وبدأت طبعات التفسير بتقديم كتاب الفضائل بطبعة دار ابن الجوزي تحقيق الحويني ١٤١٧ هـ

وطبع كتاب "فضائل القرآن" مستقلاً في القاهرة وبيروت وجدة ، وحققه سعيد عبد المجيد محمود ، وزهير شفيق الكبي ، ومحمد إبراهيم البنا ، كل على حدة في طبعة خاصة ، وتكرر بعضها أربع طبعات .

مختارات من فضائل القرآن :

تم اختصار فضائل القرآن ، واختيار بعض الروايات منه بإشراف أحمد حمدي إمام ، وطبعه بالقاهرة ، المؤسسة السعودية عام ١٩٨١ م ، وجاء في ٨٣ صفحة .
(ابن كثير الدمشقي ص ٢٢٨-٢٢٩)

خامسا : موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات

سبق وأن ذكرنا طرفا من ذلك في حديثنا عن منهج الحافظ مع الإسرائيليات ضمن المنهج العام للتفسير إلا أنه لأهمية هذا الأمر أفردناه هنا ولتصور تلك الأهمية يكفي أن يقال إن هذا الموضوع كان نقطة بحث لعدة رسائل جامعية نذكر منها :

- موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره ، محمد بن إبراهيم تراوري سنة ١٤٠٧ هـ ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

- الإسرائيليات في تفسير ابن كثير ، عبد الرحمن السيد محمد أحمد ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ٢٠٠٠ - رسالة ماجستير .

- منهج الإمام ابن كثير في روايته ونقده للإسرائيليات ، مصطفى محمد مصطفى الخان ، إشراف ياسر أحمد الشمالي ، جامعة آل البيت ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٤ - رسالة ماجستير .

وننقل هنا طرفا مما ذكره بعض هؤلاء الباحثين حول هذه الجزئية المهمة مع شيء من التصرف اليسير :

يقول صاحب التفسير والمفسرون : ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص والأخبار التي تروى أصلا عن مصادر يهودية من تورا وشروحا وآسفار وما اشتملت عليه ، والأساطير والخرافات يستعمله علماء التفسير وغيرهم ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص التي تروى عن مصادر يهودية

فهو في اصطلاحهم : يدل على كل ما تطرق إلى الفسیر من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما

بل توسع بعض المفسرين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير ليفسدوا به عقائد المسلمين^(١) .

() التفسير والمفسرون للدكتور أحمد حسين الذهبي ١/١٦٥ ط الثانية وانظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ص

١٢ ١٣ بعض التصرف .

(وانما أطلق علماء التفسير لفظ الإسرائيليّات على كل ذلك من باب التغلب للون اليهودي على غيره) (١) .

(والحق ان ما في كتب التفسير من المسيحيّات أو من النصرانيّات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليّات ولا يكاد يذكر بجانبها ، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليّات إذ إن معظمها في الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس) (٢) .

يقول صاحب التفسير والمفسرون : إنما أطلق علماء التفسير لفظ الإسرائيليّات على كل ذلك من باب التغلب للون اليهودي على غيره (٣) . ومن هنا صح إطلاق لفظا لإسرائيليّات على جميع الأفكار المتسربة بشكل فوضوي في كتب التفسير .

ويقول الدكتور أحمد خليل : إن هذه الكلمة الإسرائيليّات يهودية الأصل وقد غلبت على كل نقل من اليهوديه إلى الإسلام وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضا ، ولكن خصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهوديه والأديان الأخرى فإن طريقة الإسرائيليّون (٤) .

وجاء في كتاب السيادة العربية (أن علماء المسلمين يطلقون كلمة إسرائيليّات على جميع العقائد غير الإسلامية ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري (٥))

هذا بعض ما ورد في المعنى الإصطلاحي للإسرائيليّات والذي نخلص إليه أن هذه الدلالات المختلفة لمعنى (الإسرائيليّات) في الإصطلاح ذات وشائج تنتهي إلى رحم واحدة هو : إطلاق لفظ الإسرائيليّات على كل دخيل في التفسير .

(فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن الكريم يجد في نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن الكريم منها ولم يتعرض لها فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء

(١) التفسير والمفسرون ١/١٦٥ والإسرائيليّات في التفسير والحديث ص ١٤ .

(٢) الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٣=٢٤ بتصرف يسير .

(٣) التفسير والمفسرون ١/١٦٥ .

(٤) نشأة التفسير في الكتب المقدسة للدكتور أحمد خليل ص ٣٧ .

(٥) السيادة العربية والشيعه والإسرائيليّات في عهد بني أمية لفان فلوتن ، ص ٩-١ ط الثانية .

النفر الذين دخلوا في الإسلام وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينيه فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني .

بيد أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يسألوا أهل الكتاب في أمور العقيدة ، أو شيء من أصول الدين ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحًا للقصة مثلاً ، كما أنهم لم يقبلوا منهم كل شيء

وكان موقفهم متمشيًا مع أصل الإباحة الشرعية (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) ولأنهم كانوا يسيئون الظن بمن آمن منهم كما أنهم كانوا يتوقفون فيما يلقي إليهم فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)^(١) (كذلك كانت تتم لقاءات بين بعض المسلمين وبعض أهل الكتاب الذين أسلموا فكان بعض المسلمين يسألونهم عن بعض جزئيات لم يفصح القرآن الكريم عنها)^(٢)

والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا أشد تحرياً للصحة فيما يتحملون أو يروون لنا وتوجد أمثلة عديدة واضحة تبين مدى تثبتهم من المروي وتأكدهم منه :

يقول جولدتسيهر في كتابه المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن الكريم : (وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق في تفسير القرآن كان _أي_ ابن عباس يرجع إلى رجل يسمى أبي الجلد الذي أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ومن بين المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس رضي الله عنهما نجد أيضاً كعب الأجباز وعبد الله بن سلام وأهل الكتاب على العموم ممن حذر الناس منهم كما أن ابن عباس رضي الله عنهما نفسه في أقواله حذر من الرجوع إليهم ولم تكن التعاليم الكثيرة التي أمكن أن يستقيها ابن عباس رضي الله عنهما والتي اعتبرها من تلك الأمور التي يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية فقد كان يسأل عن التفسير الصحيح لأم القرآن ... وقد رأى الناس في هؤلاء

() فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٩٨/٦ وما بعدها ط السلفية والتفسير والمفسرون ١٦٩/١ مع بعض التصرف .

() الإسرائيلية في التفسير والحديث ص ١٥=١٦ .

اليهود أن عندهم أحسن الفهم على العموم في القرآن الكريم وفي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المعاني الدينية ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد من كل جهه من سؤالهم) (١) .

وهذه بعض مفتريات أحمد أمين _ من الذين أدت أقوالهم إلى بلبلة واضطراب في نفوس المسلمين _ إذ يقول فيما يقول _ متأسيا بالآراء الاستشراقية _ النص التالي :

(وقيم كان نصرانيا من نصارى اليمن أسلم في سنة تسعة من الهجرة النبوية وقد ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال ... ونظرة في حديث الجساسة تدلنا على عقليته ونوع قصصه ومنحاه فيما يروي) (٢) .

فهو يتهم الصحابي الجليل الذي تشرف بأن الرسول صلى الله عليه وسلم روى عنه. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عنه وحاله متهم ، إذ لا يقره الوحي على ذلك . كما يقول أحمد أمين في موضع آخر ، وذلك أثناء حديثه عن مصادر التفسير الجبارة الآتية :

وثالثا : وهناك منبع آخر من منابع التفسير استمد منه المفسرون كثيرا ، ذلك أن شغف العقول وميلها للاستقصاء دعاها عند سماع كثير من آيات القرآن الكريم أن تتسائل عما حولها فإذا سمعوا قصة كلب أصحاب الكهف قالوا : ما كان لونه ؟ وكان الذي يسد هذا الطمع هو التوراه وما علق عليها من حواش وشروح بل وما دخل عليها من أساطير وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام ، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ، ودخلت في تفسير القرآن الكريم يستكملون بها الشرح ولم يتخرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس رضي الله عنهما من أخذ قولهم روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، ولكن العمل كان على غير ذلك وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم ...) (٣)

() المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص ٦٥ وانظر التفسير والمفسرون ١/١٧٠-١٧٤

() فجر الإسلام ١٥٨-١٥٩ :٢

() فجر الإسلام ٢٠١ وانظر التفسير والمفسرون ١/٧٢ .

تفنيد اتهام أحمد أمين وغيره للصحابة رضي الله عنهم أجمعين :

صاحب هذا القول لا يعرف قيمة الصحابة ومدى تمسكهم بالسنة النبوية الشريفة إذ يؤخذ من قوله - أحمد أمين - أنهم بسطاء وسذج - وحاشاهم - وإلا فماذا يفهم من قوله : ولكن العمل كان على خلاف قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) ولكن أقول له ولأمثاله قفوا عند الحقيقة واعلموا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون علماء اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم من منطلق أنهم مؤمنون على دينهم الجديد الإسلام والمسلم لا ينبغي له أن يسيء الظن بأخيه مع العلم اليقين أن أسألتهم لم تكن في شيء يمس العقيدة أو يتصل بالأحكام كما أنهم لا يسألون عن أشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعا من العبث واللغو

(كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لا يصدقون اليهود أو غيرهم من أهل الكتاب فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة السمحة .

فهم قد فهموا من الحديث الشريف (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) إباحة الحديث عن بني إسرائيل وتصديق ما جاء موافقا للشريعة الإسلامية وتكذيب ما جاء مخالفا لها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب ، وما سكت عنه القرآن الكريم واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه .) (١)

أهم العوامل والأسباب التي ساعدت على انتشار الإسرائيليات : -

أ - كثرة من دخل من أهل الكتاب وغيرهم في الإسلام ، وكان منهم من دخلوا في الإسلام عن اقتناع وإيمان وكان منهم من دخلوه على دخل ودغل وقد احترف هؤلاء وهؤلاء العلم وأفرغوا أنفسهم له وجدوا في طلبه ... وكان تفسير القرآن الكريم هو أحد هذه العلوم التي تولاهم هؤلاء الأعاجم عامة وأهل الكتاب منهم خاصة ومن هنا بدأت الإسرائيليات من نصوص العهدين القديم والجديد تنهال وتلتصق بأي الكتاب الكريم .

ب - ميل نفوس المسلمين الجدد لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن الكريم من أحداث يهودية ، أو نصرانية فظهرت في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الحوادث

() التفسير والمفسرون ١/١٧٠-١٧١ مع تصرف تيسير .

والأخبار والتي أشار إليها القرآن الكريم بما هو موجود عند اليهود والنصارى وغيرهم فحشوا التفسير بكثير من القصص^(١) ولعل أبرز هؤلاء مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ إذ نسبه أبو حاتم إلى أنه استقى علومه بالقرآن الكريم من أهل الكتاب .. (ج - كثرة الوضع ونشاط القصص في هذا المضمار .

ففي عصر التابعين ومن جاء بعدهم ضعفت الخاصية التي كانت في العصر الأول وهي : - التثبت والتحري في الحديث ، فكثرت الروايات ، وانتشر الحديث وكثر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته فقد وجدنا في كتب التفسير أمثلة على هذه القصص لا حصر لها معزوة إلى بعض التابعين ، أمثال قتادة ومسروق وكعب ووهب وزيد بن أسلم وغيرهم وهذه القصص التي نسبت إليهم فيها كثير من الإغراب والمبالغة والخيال والبعد عن العقل^(٢) .

أما عصر تابعي التابعين وما بعدهم : فازداد خطر الوضع وتفشى بصورة مزعجة حيث جاء من عظم شغفه بالإسرائيليات والإفراط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يجمعون عن أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل .

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيليات الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها^(٣) .

وهكذا بدأ الكدر يشوب موارد التفسير وأخذت أكاذيب أهل الكتاب وأساطيرهم تأخذ طريقها إلى هذه الموارد التي كانت من قبل طاهرة نقية لم يؤرق صفوها الأحاديث الموضوعية والأخبار المدخولة والخيالات التي يابها العقل ...

ثم خلف من بعدهم قوم تساهلوا في الرواية والمروي معا . فإذا روي حذفوا الأسانيد ، وإذا تحملوا مروياً لا يسألون عن سنده . وكانت لتلك الطريقة آثارها السلبية على التفسير بالمأثور

() التفسير والمفسرون ١/١٧٥ تفسير ابن كثير الشعب ص ٥٨٤ والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ١٦٤ - ١٦٥ .

() الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٦ بصرف اليسير .

() التفسير والمفسرون ١/١٧٦-١٧٧ .

وغيره حيث التبس على الناس وجه الحق ... وفتح على المسلمين باب شر عظيم ، حيث
مكن من تسرب الموضوعات والإسرائيليات والدخيل إلى التفسير فإننا نلاحظ في كتب التفسير
وغيره ، أن أصحاب المذاهب السياسية والعقدية وغيرهم من أصحاب الميول المختلف
والنزاعات المحرفة وضعوا أقوالا في التفسير ونسبوها زورا وإفكا إلى الرسول صلى الله عليه
وسلم، وإلى بعض من اشتهر بالتفسير من الصحابة ترويجا لمذاهبهم وتمكينا لبدعهم وأهوائهم.
فمن خلال بعض مراحل الرواية تسربت وتصاعدت الإسرائيليات بشكل كبير لأن انتهاء
التفسير بالمأثور بحذف الأسانيد ، سبب فجوة وسهل أمر الإسرائيليات .

ثم جاءت الخطوة الرابعة : وهي الخطوة التي اختصرت فيها الأسانيد ونقلت الأقوال تترى
وبالتالي تصاعدت الإسرائيليات أكثر من قبل والتبس الصحيح بالعليل وراجت الروايات
الواهية والمختلقة المكذوبة وشاع القصص الإسرائيلي بشكل عام بسبب حذف الأسانيد^(١) .
يقول الذهبي في التفسير والمفسرون : (والحق أن حذف الإسناد يكاد يكون أخطر أسباب
ضعف التفسير بالمأثور لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب يظن صحة كل
ما جاء فيها ، وجعل كثيرا من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والقصص
المخترع على أنه صحيح كله ، مع ما فيها مما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل)^(٢) .

مع الأخذ في الاعتبار أن الذين شحنوا التفسير بالإسرائيليات في هذه المرحلة أكثرهم من
القصاص وما ابتلي المسلمون بشيء أكثر من القصاص الذين كانوا يجلسون إلى العامة في
المساجد وغيرها يستميلون قلوبهم بما يروون من أعاجيب تستهويهم ويتخذون من ذلك سبيلا
إلى استدرار ما في أيديهم ! ولعل أقرب مثال على ذلك مقاتل بن سلمان فتفسيره فيه من
العيوب الشيء الكثير ، لعل أبرزها :

١ = الكذب والتدليس في الرواية .

٢ = تأثره بإسرائيليات اليهود والنصارى .

() الاتقان ٢٣/٢ وانظر التفسير والمفسرون ١٤٥/١ مع التصرف .

() التفسير والمفسرون ٢٢/١ بتصريف يسير .

٣ = وجود تجسيم وتشبيه في هذا التفسير (١).

إضافة إلى ما تقدم فقد تعرض هو بنفسه للجرح من رجال الحديث ؛ وهذه بعض أقوال النقاد فيه :

(قال الإمام البخاري : منكر الحديث لا شيء البتة .

(قال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء ليس بثقة .

(وقال أبو حاتم ابن حبان : كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم

وكان مشبها يشبه الرب عز وجل بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث (٢).

وفي كتاب الضعفاء للنسائي : (والكاذبون المعروفون بوضع الحديث عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أربعة منهم مقاتل بن سليمان ...) (٣)

والقصص الإسرائيلي لم ينفذ أثره إلى أعماق الحياة الإسلامية إلا بعد أن أصبح القصص فنا عمليا يقال في المساجد .

وقد تسربت الإسرائيليات وازدادت فوق ما ذكرنا من طريقتين آخرين :

أولهما : طريق المذاهب الدينية القريبة من مذاهب أهل هذه النقول ، وإذا عرفنا أن الشيعة قد

استوطنوا العراق التي هي مهد الدراسة اليهودية من قديم الزمان وعرفنا أن التلمود البابلي كتب

في هذه البيئة أدركنا صلة تأثيرهم بهذه الدراسة إلى الحد الذي نجده عندهم في تأويلاتهم البعيدة

وتعسفاتهم البالغة (٤).

وهنا يظهر محمد بن السائب الكلبي السبئي اذ كان من أتباع عبد الله ابن سبأ اليهودي لعنه

الله .

قال ابن حبان : كان الكلبي سبئيا من أولئك الذين يقولون : إن عليا لم يمت وأنه راجع إلى

الدينا وملؤها عدلا كما ملئت جورا (٥).

(١) الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ٢١٩-٢٣٣ مع التصرف

(٢) تهذيب التهذيب ٥٨١/١ الميزان للذهبي ٤/١٧٣/١٧٥ .

(٣) الضعفاء ص ١٢٣ . ٣

(٤) نشأة التفسير ص ٣٩ . ٤

(٥) ميزان الاعتدال ٥٥٨/٣ . ٥

وقال السيوطي الكلبي اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه كل شيء حدثكم عن أبي صالح فهو كذب .. ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد منه ضعفا وهو محمد بن مروان السدي الضغير^(١).

وثانيهما : ترجمة التوراة فقد ذكر ابن النديم في فهرسته (أن أحمد بن عبد الله بن سلام^(٢) ترجم التوراة ترجمة دقيقة وبذلك قدم هذا الرجل وغيره للمفسرين مادة خصبة جديدة من الإسرائيليات يضيفونها إلى تفسير القرآن الكريم ومن ثم توسع المفسرون وغيرهم في الاستعانة بهذه الترجمات^(٣)).

تقسيمات ما يصدق نقله عن أهل الكتاب :

الأول : الموافق لما في شريعتنا أي مما يعلم صحته بأن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلا صحيحا كتعيين اسم صاحب موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بأنه الخضر فقد جاء هذا الاسم صريحا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري رحمه الله^(٤) . ومثاله أيضا ما رواه الإمام البخاري في صحيحه (عن عطاء بن يسار عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده ، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى : قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه^(٥))

فترى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضحك حتى بدت نواجذه لخبر ذلك اليهودي تعجبا وتصديقا لخبره عن نزل أهل الجنة فوافق خبره خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الدر المنثور ٦/٤٢٣ .

(٢) لم نعثر له على ترجمة .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣ وما بعدها ط دار المعرفة بيروت

(٤) فتح الباري ٨/٤٩ .

(٥) فتح الباري كتاب الرقاق باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ١١/٣٧٢

فمثل هذا المثل يجوز روايته (للاستشهاد وإقامه الحجة عليهم من كتبهم ، وفي هذا القسم ورد قوله صلى الله عليه وسلم : بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) قال الحافظ في الفتح : أي لا ضيق عليهم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم منع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار كانت في زمانهم من الاعتبار (١).

ومثاله أيضا ما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على أصبع والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلائق على أصبع ، ثم يهزهن ، ثم يقول سبحانه : (أنا الملك ، أنا الملك) فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا لقوله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (٢).

فهذا الحديث مذكور في كتب الصحاح والسنة كما صرح ابن كثير بذلك (٣) كما أن السيوطي قد ذكر نحوه في الدار المنثور وفي أسباب النزول ، كما ذكره غيره واحد من المفسرين (٤).

(١) فتح الباري ٤٩٨/٦ .

(٢) فتح الباري كتاب التفسير بآب وما قدر الله حق قدره ، ٥٥١=٥٥٠/٨ وكتاب التوحيد باب قول الله (لما خلقت بيدي) ٣٩٣/١٣ وما بعدها وباب قوله إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ٤٣٨/١٣ وباب كلام الرب سبحانه وتعالى مع الأنبياء وغيرهم ٤٧٣/١٣ والآية ١٧ من سورة الزمر

(٣) تفسير ابن كثير ٦٢/٤ ح والشعب ١٠٤/٧

(٤) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٨٦ وأسباب النزول للواحد ص ٢١٢

الثاني : مايتعلق بالأحكام :

مثل ما رواه الإمام البخاري في الصحيح عند قوله تعالى : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين)^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زينا ، فقال صلى الله عليه وسلم : (كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟) قالوا : نحممهما ونضربهما فقال صلى الله عليه وسلم (ألا تجدون في التوراة الرجم ؟ فقالوا لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فرفع يده عن آية الرجم فقال : ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز قال : فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقبها الحجارة^(٢) .

أدلة المنع من الرواية عن أهل الكتاب :

ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرأونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : (هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم^(٣) .

ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه من طريق حريث بن ظهير قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه : لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل.

(١) آل عمران (٩٣) .

(٢) فتح الباري كتاب التفسير باب قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) ٢٢٤/٨ .

(٣) فتح الباري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء

٣٣٤/١٣ وكتاب التوحيد باب قوله تعالى كل يوم هو في شأن ٤٩٦/١٣=٤٩٨ وكتاب الشهادات باب لايسأل اهل

الشرك عن الشهادات وغيرها ٢٩١/٥ .

الثاني أدلة الجواز :

أ = ما ورد في مسند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن الله ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، فدخل الكنيسة ، فإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا _ وفي ناحيتها رجل مريض _ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما لكم أمسكتم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يجبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأتمته ، فقال : هذا صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله (١) .

ب = ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (٢) .

ج = ما جاء في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن جمع الناس : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال) (٣) .

(ففي الأحاديث السابقة الدلالة الكافية على رفع الحرج في الحديث عن بني إسرائيل والاستماع إليهم . إلى غير ذلك من الأدلة على إباحة التحدث عنهم) (٤) .

فقد أخرج البخاري وغيره ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل (٥) .

(١) مسند الإمام أحمد وعلق عليه الإمام أحمد شاعر بقوله اسناده ضعيف لأن فيه أبا عبيدة وهو لم يسمع من أبيه .

(٢) فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/٤٩٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/٧٨-٨٣ وانظر تعليق النووي في الموضوع عينه

(٤) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٦ بتصرف كبير

(٥) فتح الباري ٤/٣٤٢ وما بعدها

كذلك قص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من أخبار بني إسرائيل فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع ، بدأ الله سبحانه ؛ أن يتليهم فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك فقال لون حسن وجلد حسن إلخ .

فما قصه الله علينا في كتابه الكريم وقصه علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحوال من قبلنا حق لا مرية فيه ، وصدق لا فرية فيه ، وما ذلك إلا للعبرة والانتعاض ، ولم يكن لقتل الوقت قال تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (١).

مع العلم اليقيني أن التحدث عن أهل الكتاب لا يكون في أصل العقيدة وجوهرها بل في جزئيات المسائل التي أضرب القرآن الكريم عنها صفحا ، ولأنه من الأمور المتحمة على المسلم أن يصون عقيدته ويحفظ قرآنه ويصونه من أن يخضع في فهم معناه لشيء مما جاء ذكره في هذه الكتب التي لعبت فيها أيدي المحرفين .

(وأما ما جاء مناقضا للشرع الإسلامي أو كان لا يصدقه العقل ، فلا تصح روايته لأن الله جل جلاله عند ما أباح لنا : أباحه في الأخبار الصادقة ، ولا يمكن أن يكون فيما كان كذبا ، إذ لا يمكن ولا يعقل أن يبيح الله ورسوله صلى الله عليه وسلم رواية الكذب) (٢).

قال الإمام مالك : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا (٣) ، وقال الإمام الشافعي : " من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز التحدث بالكذب فمعنى " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، أى بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم بالتحدث به عنهم (٤) .

() الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥١ بتصريف كبير والآية ١١١ من سورة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

() المصدر السابق ص ٥٢ ٢

() فتح الباري ٦/٤٩٨ ٤٤٩ ٣

() فتح الباري ٦/٤٩٨ ٤٤٩ ٤

وأما ما سكت عنه شرعنا ، ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملا ، فحكمه التوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه ، وعليه يحمل المصطفى صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) (١).

أما عن حكمة النهي عن التصديق والتكذيب في أخبار بني إسرائيل فكثيرة منها ما أفصح عنه حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه عند ابن عبد البر : أنه بينما هو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود فقال : يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أعلم فقال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقلوا آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان حقا لم تكذبوهم ، وإن كان باطلا لم تصدقوهم (٢) . ونلاحظ أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يقبلون كل ما يقال لهم بل كانوا يتحرون الصواب - ما استطاعوا - ويردون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق الحق الذي بأيديهم .

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلى أعطاه إياه وأشار بيده يقللها) (٣) .

(فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة وهل هي باقية أو رفعت ؟ وإذا كانت باقية ، فهل هي جمعة واحدة من السنة أو في كل جمعة منها ؟

فوجد أبا هريرة رضي الله عنه يسأل كعب الأحمري عن ذلك فيجيب كعب : بأنها جمعة واحدة من السنة ، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ويبين له : أنها في كل جمعة ، فيرجع إلى التوراة ، فيرى الصواب مع أبا هريرة فيرجع إليه (٤) .

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥١

(٢) الحديث والمحدثون ص ١٨٥-١٨٦ مع بعض التصرف .

(٣) فتح الباري ٢/٤١٥ وما بعدها وكتاب الدعوات باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة

(٤) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ١/٢٢٢-٢٢٨ وانظر التفسير والمفسرون ١/١٧ .

كما نجد أيضا أبا هريرة يسأل عبد الله بن سلام عن تحديد هذه الساعة فيجيبه ابن سلام ، بأنها في آخر ساعة في يوم الجمعة ، فيرد عليه أبو هريرة بقوله : وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ، وتلك الساعة لا يصلي فيها ؟ فيجيبه ابن سلام بقوله : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي الحديث ()
فلاحظ مما سبق كيف كانت مراجعة أبي هريرة مع مسلمة أهل الكتاب .

ابن كثير والإسرائيليات :

منهج ابن كثير في نقد الإسرائيليات ذو جوانب متعددة ، فقد يشير إليها بدون أن يذكرها منسوبة إلى بعض المفسرين أو ينسبها إلى قائلها ، مع مناقشته لها وبيان بطلانها . وإليك بيان بعض جوانب هذا المنهج .

١- الإعراض عن ذكر الإسرائيليات :

يذكر ابن كثير في كثير من الآيات أنه قد قيل ههنا إسرائيلييات ضربنا عنها صفحا ، وقد علل وجهة نظره في عدم إيرادها بأن بعض الروايات يستحي من ذكرها ، وبعضها الآخر لا يذكره خشية الإطالة ، والروايات الإسرائيلية كلها باطلة غير صحيحة ، ولا يرجي منها نفع أو خير .

وانظر أمثلة لهذا في تفسير الآية (٨١) من سورة القصص ، والآية (٤) من الإسراء ، والآية (٣٧) من الأحزاب .

والعجب أن يردد هذه الإسرائيليات مفسر كبير كالطبري والزمخشري ، والعجب أن يردده بعض الأساتذة المحدثين كما فعلت الدكتورة بنت الشاطيء في كتابها (نساء النبي) فضلا عن المستشرقين الذين يكيّدون للإسلام وأهله .

وها أنت ذا ترى ابن كثير يرد على هذا بأنها روايات باطلة لا يصح منها شيء .

() المصدرين السابقين للموضع نفسه .

قال الدكتور مصطفى زيد بصدد رده لهذه الإسرائيليات : (ولسنا ندري كيف تبلغ بهم الجرأة إلى حد الدفاع عن إسرائيليات لفقت قبل الطبري ، واستغلال ما وقع فيه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل من أنه من وضع المستشرقين المبشرين ؟ ثم لماذا يحتجون بمفسر كالزنجشيري لم يعرف بالحفظ والرواية في أمر يحتاج إليهما ، ويغفلون مفسرا حافظا محدثا هو الحافظ ابن كثير ؟ ! ثم نقل النص الذي أوردناه عن ابن كثير سابقا .

٢- الإسرائيليات في أقوال من أسلم من أهل الكتاب :

لقد كان للذين أسلموا من أهل الكتاب دور كبير في نقل كثير من الإسرائيليات في التفسير والحديث والقصص والتاريخ وغير ذلك ، ومن بين الذين اضطلعوا بهذا الأمر الخطير : كعب الأخبار ووهب بن منبه ، فقد أدخلوا كثيرا مما في الديانات السابقة إلى الدين الإسلامي ، بدرجة أنك لا تكاد تفتح كتابا ماثورا في التفسير أو الحديث أو القصص أو التاريخ إلا وجدت روايات كثيرة عنهما ، ولا يقبلها العقل والشرع ، ولسنا في حاجة إليها كما قرر ابن كثير دائما .

كعب الأخبار :

هو كعب بن ماته الحميري (أبو إسحاق) كان من كبار علماء اليهود ، توفي (٣٣هـ - ٦٥٢م) وقد ذكرت له أقوال كثيرة في كتب التفسير وغيرها ، وقد نقد ابن كثير من هذه النقول التي أخذت عنه .

فانظر مثلا : تفسير الآية (١٠٢) من سورة الصافات ، والآية (٥٧) من سورة مريم .

وهب بن منبه :

هو وهب بن منبه الصنعاني ، من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، ولد (٢٤هـ - ٦٤٥م) وتوفي (١١٤هـ - ٧٧٢م) ، وقد أدخل في التفسير والتاريخ والحديث روايات كثيرة أبان ابن كثير عن زيفها وبطلانها .

فانظر مثلا تفسير الآية (١٥٨) من سورة الأنعام ، والآية (٢٤٨) من سورة البقرة .

٣- الإسرائيليات في أقوال الصحابة :

روي عن بعض الصحابة آثار غريبة في التفسير والحديث ، تلقيت عن بعض من أسلم من أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه ، وبعض ما نقل عن أهل الكتاب لم يصرح فيه بأنه أخذ عنهم ، ولكن كان مصدره بعض كتب أهل الكتاب كما قال ابن كثير عن عبد الله بن عمرو : إن بعض رواياته الغريبة مأخوذة من الزاملتين اللتين حملهما من اليرموك .

هذا ، وقد نسب إلى بعض الصحابة كابن عباس كثير من الروايات التي لم يثبت عنه شيء منها ، ومن هنا نجد بعض ما يكشف لنا السر عن الروايات المتناقضة للصحابي الواحد في الآية الواحدة .

فمن الإسرائيليات التي رويت عن ابن عباس رضي الله عنه : وأبطل ابن كثير نسبتها إليه ؛ ما روي عنه في تفسير الآية (٢٨) من سورة الحجر ، والآية (١١) من سورة الإسراء ، والآية (٢٢) من سورة المائدة .

إسرائيليات عن أنس بن مالك رواية غريبة أيضا عن طول هؤلاء الجبارين .
إسرائيليات عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه :

وأكثرها مأخوذة من الزاملتين اللتين أحضرهما معه من اليرموك كما يقول ابن كثير ... ومن أمثلة ما روي عنه ما جاء في تفسير الآية (٢٥) من سورة الفرقان ، والآية (١٥٨) من سورة الأنعام .

٤- إسرائيليات في أقوال التابعين :

وفي أقوال التابعين آثار إسرائيلية كثيرة ، وضعها بعض زنادقة أهل الكتاب ؛ ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ، وليلبسوا الحق بالباطل .

فمن ذلك ما أورده ابن كثير عن سعيد بن المسيب وعكرمة والقرظي : قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿إِرم ذات العماد﴾ : وعقب عليه قائلا : فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

وينبه ابن كثير كثيرا إلى الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث والسير وغيرها .

وما أكثر هذه الإسرائيليات وما أكثر تحذير ابن كثير منها !

إن تفسير ابن كثير من أمهات كتب التفسير التي تدحض هذه الخرافات التي امتلأت بها كتب كثيرة من التفسير والحديث والسيره وغيرها . ولقد كان السيوطي صادقا حين وصف تفسير ابن كثير بأنه (لم يؤلف على نمطه مثله) وبخاصة في مسألة الإسرائيليات ونقدها وتفنيدها وبيان بطلانها ؛ فلقد نقد ابن كثير كثيرا من الروايات الإسرائيلية التي وجدت في أمهات كتب التفسير كالطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق الصنعاني والبغوي ... الخ . ونحن إذ ألحنا على تأكيد هذه الحقيقة فإننا نهدف من وراء ذلك إلى تنبيه الأذهان إلى الخلط الكبير الذي امتلأت به كتب التفسير وامثله في الأخبار الواهية والروايات الضعيفة والنقول التي أخذت عن أهل الكتاب بلا نقد ولا رواية .

ومن جانب آخر يبين لنا مدى أهمية تفسير ابن كثير المتحرر من تلك الروايات التي لا تستند إلى دليل عقلي صحيح ، أو نقلي صريح . ومن جهة ثالثة يظهر لنا ثقل المسؤولية الملقاة على كاهل العلماء والهيئات العلمية لتحريروا كتب التفسير والحديث من تلك الروايات الإسرائيلية الباطلة .

ونشير ههنا إلى مواضع متفرقة من نقد ابن كثير للمرويات التي ينقلها عن الكتب الخمسة التي هي أهم الكتب التي نقل عنها :

- فعن الطبري : نقد ما روى من إسرائيلييات في تفسير الآية (٧٤) من سورة الأنعام ، والآية (٨٥) من سورة الإسراء ، والآية (٩٣) من سورة الكهف .
- وعن تفسير ابن أبي حاتم : نقد مرويات تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف .
- وعن تفسير عبد الرزاق : نقد مرويات تفسير الآية (٦٤) من سورة النساء .
- أما تفسير ابن مردويه : فنقد ما رواه في تفسير الآية (٢٦١) من سورة البقرة .
- وأما تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فنقد مرويات تفسير الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف .

يتبين من مراجعة هذه المواضع وغيرها أن موقف ابن كثير مما ينقل هو موقف العالم الناقد المدقق الذي لا يقبل رأيا غريبا ، أو خبرا عجيبا ، أو رواية إسرائيلية ، بل يهاجمها وينقدها ويبين بطلانها ، وتلك الأمثلة التي أشرنا إلى مواضعها هي قل من كثر ، وفيها ذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع ، وهو شهيد ، والله أعلم .

أمثلة لنقد ابن كثير للروايات الإسرائيلية :

إن الحافظ رحمه الله يصرح بخطر الإسرائيليات بشكل بارز في أمكنة متعددة ويحذر منها ، ويكشف أسبابها ، فمن ذلك ما يذكره عند تفسيره لأول سورة ق ، وأنها من الأحرف التي ابتدأت بها بعض سور القرآن ، وبين رأيه فيها في أول سورة البقرة ، ثم يقول : "وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا : ق جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له جبل قاف ، وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ، ولا يكذب ، وعندني ، أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افتري في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها ، أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى ، وقلة الحفاظ والنقاد فيهم ، وشربهم الخمر ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته؟؟ وإنما أباح الشرع الرواية عنهم في قوله : " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " () فيما قد يجوز العقل ، فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل ، والله أعلم وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين ، وكذا طائفة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ، والله الحمد والمنة ... " () .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ابن كثير وضع المنهج والقاعده لقبول رواية الإسرائيليات في مقدمة كتاب "البداية والنهاية" () ، وهو قريب مما ذكره في مقدمة التفسير فقال :

"ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا ، مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلي به ، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على

() هذا جزء من حديث رواه البخاري ، وأوله : "بلغوا عني ولو آيه ، وحدثوا ... " (٣/١٢٧٥ رقم ٣٢٧٥ كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ، ورواه الترمذي (٧/٤٣١ كتاب العلم ، باب الحديث عن بني إسرائيل) .

() تفسير ابن كثير ٤/٢٢١ ، وأنظر : التفسير والمفسرون ١/٢٤٥ وما بعدها .

() البداية والنهاية ٦/١ . ٣

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ما صح نقله ، أو حسن ، وما كان فيه ضعف
نبيه ، وباللّٰه المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم " () .

وخلص القول في الإسرائيليات :

أن كثيرا مما روي فيها لا يصح سنده أصلا فبادئ ذي بدء لا بد من التأكد من صحة السند
عمن رويت عنه .

أن ما صح عن الصحابة وتلاميذهم من أئمة التابعين لا شك في كون الصواب روايته واعتماده
في تفسير كتاب الله سبحانه فهم أتقى وأورع وأعلم من أي ممن أتى بعدهم ، ولن يخفى عليهم
مالا يليق بكتاب الله ويظهر لنا ومن خطر على باله ذلك فقد أتى شيئا إذا .

() البداية والنهاية ٦/١ . ١

سادسا : مقدمات علمية مهمة تتعلق بتفسير ابن كثير :

كانت النية عند العمل في هذا المشروع المبارك التقديم له بدراسات مختصرة عن كل من تفسير الإمام الطبري وتفسير الإمام ابن أبي حاتم لاعتماد الحافظ ابن كثير على هذين التفسيرين كما سبق في منهجه .

وكذا دراسة فيما سميته (فقه مصطلح الحديث) لأهمية ذلك في قبول الروايات التفسيرية وردّها وهو عمدة تدمير التفسير بالمأثور عند من لم يلتفت إليه من المشتغلين بعلم الحديث لاسيما من أطلقوا على منهجهم منهج المتقدمين وعلى من خالفهم منهج المتأخرين .
ثم دراسة لبعض الرجال المختلف فيهم ممن تكرر الرواية عنهم في التفسير بالمأثور لتتم الإحالة على ذلك كلما احتيج له في تحقيقنا للتفسير

وأخيرا دراسة للنسخ التفسيرية المتكررة التي هي عمدة التفسير بالمأثور وتحرير القول فيها ونظرا لتقويض المشروع كما ذكرنا في مقدمة الجزء المحقق لم يتم لنا ذلك اللهم إلا مبحث غير مكتمل عن النسخ التفسيرية أظن أن أكثره مستفاد من فضيلة الأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين ماعدا مبحث تفسير السدي ، وهاهو بين أيديكم .

دراسة لبعض النسخ التفسيرية في تفسير الحافظ ابن كثير :

أولا : الصحابة :

• الإسناد إلى أبي بن كعب رضي الله عنه :

من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي :
قد اعتمد هذا الإسناد كبار المصنفين كالإمام أحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه ،
والترمذي في جامعه ، والطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما ، وابن خزيمة في التوحيد ،
والحاكم في مستدركه والواحدي في أسباب النزول ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، والثعلبي ،
والبغوي في تفسيريهما وكثيرا ما اعتمد على هذا الإسناد الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما
ويرويه ابن أبي حاتم عن عصام بن رواد العسقلاني عن آدم بن إياس العسقلاني ، عن أبي
جعفر به . وقد حكم الحافظ ابن حجر العسقلاني على الإسناد بأنه جيد . كما يرويه ابن

أبي حاتم من طريق أبيه عن أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي عن عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه به . وقواه الحافظ ابن حجر . ويرويه الحاكم من طريق جعفر بن عون وعبيد الله بن موسى ومحمد بن سابق عن أبي جعفر الرازي به ، ويرويه أيضا من طريق علي ابن الحسين بن واقد عن أبيه عن الربيع بن أنس به ، وصححه هو وسكت الذهبي . وقال السيوطي : وأما أبي بن كعب فعنده نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح .

وحسنه الألباني . وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا الإسناد بأنه معروف عن أبي العالية عن أبي بن كعب . وقال : هكذا رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المعروف عن الربيع بن أنس ، ونقل أيضا عن ابن عبد البر قال : وروى بإسناده في التفسير المعروف عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ... بل قد اعتمد شيخ الإسلام هذا الإسناد في سورة الإخلاص .

وأبو جعفر الرازي هو : عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان صدوق سيء الحفظ خصوصا عن مغيرة . مات في حدود الستين والمائة ، روى له الجماعة إلا البخاري فروى له في الأدب المفرد .

والربيع بن أنس : البكري أو الحنفي ، بصري نزل خراسان صدوق له أوهام ورمي بالتشيع . مات سنة أربعين ومائة أو قبلها روى له الأربعة .

وأبو العالية : هو رفيع بن مهران الرياحي بكسر الراء والياء ، ثقة كثير الإرسال ، مات سنة تسعين أو بعدها ، وروى له الجماعة .

وبما أن الرواية من نسخة فلا يضر سوء حفظ أبي جعفر ولا أوهام الربيع لأن نقلهم هنا عن طريق السطور لا الصدور ، فما يروونه عن كتاب ، ولهذا صححه الحاكم وسكت الذهبي والسيوطي وجوده ابن حجر واعتمده ابن عبد البر وشيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم .

ومما يؤكد أن هذا الإسناد ينقل من كتاب قول ابن أبي حاتم الرازي في مقدمة تفسيره : فأما ما ذكر عن أبي العالية في سورة البقرة بلا إسناد فهو : ما حدثنا عصام بن رواد ثنا آدم ، عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية

• الأسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما :

طريق سعيد بن جبير :

من أشهر الطرق المتكررة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس :

- طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس .

وهذا الإسناد يتكرر كثيرا في كتب التفسير وخصوصا في تفسير الطبري وابن أبي حاتم وابن كثير ، والراوي دائما عن محمد بن أبي محمد هو محمد بن إسحاق .

وذكره الحافظ ابن حجر من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس وفي موضع آخر قال : سند جيد أي أنه حسن وجود طريق ابن إسحاق إلى ابن عباس .

وأخرج ابن أبي حاتم رواية طويلة من طريق يونس بن بكير به وذكره الحافظ ابن حجر مختصرا وحسنه .

وحسنه السيوطي أيضا في لباب النقول في أسباب النزول بعد أن ذكر رواية ابن أبي حاتم . وقد ساق هذا الطريق في الإتيان ثم قال : وهي طريق جيدة وإسنادها حسن .

وقد اعتبر الشيخ محمد نسيب الرفاعي الذي اختصر تفسير ابن كثير هذا الإسناد من الأسانيد الثابتة حيث ذكر في مقدمة مختصره شرطه أنه يختار أصح الأقوال ولا يسوق الروايات الضعيفة والموضوعة ، وأكثر النقل بهذا الإسناد .

وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال عنه الإمام الذهبي : لا يعرف ، وقال الحافظ ابن حجر : مجهول .

وسكت عنه البخاري وابن أبي حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أحمد شاكر عن توثيق ابن حبان : وكفى بذلك معرفة وتوثيقا .

والحق أن توثيق ابن حبان على درجات تبدأ من الثقة وتصل إلى الضعيف وقسمها الشيخ المعلمي إلى خمس درجات وأثنى الشيخ الألباني على هذا التقسيم واستحسنه ، وقد انبرى الشيخ عداب الحمش لدراسة منهج ابن حبان في النقد ، في رسالته (الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل) ، وبعد التتبع والإحصاء تبين له أنه على ثلاث درجات :

-الثقات وأهل الصدق .

-ومنهم رواة مرتبة الاعتبار .

-ومنهم الرواة الذي لا تنطبق عليهم شروط ابن حبان النقدية في المقبول وهؤلاء ذكرهم للمعرفة .

علما أن ابن حبان لم يذكره في المجروحين ، ومع هذا لا نستطيع أن نجزم بتوثيق محمد بن أبي محمد ولا بتضعيفه ، وكذلك بالنسبة لقول الذهبي : لا يعرف وقول ابن حجر : مجهول لأن بعض المجهولين قد وثق وبعضهم قد ضعف غير ذلك ، وكذلك الحال بالنسبة للذين سكت عنهم البخاري ثم ابن أبي حاتم فبعضهم وثق وبعضهم ضعف وبعضهم ما بين درجة الثقة والضعيف . ولكن توجد بعض القرائن تؤكد على تحسين طريق محمد بن أبي محمد وهي :

● أن الحافظ ابن حجر ذكر هذا الإسناد ضمن أسانيد الثقات عن ابن عباس فقال في مقدمته النفيسة لكتابه (العجاب في بيان الأسباب) : والذين اشتهر عنهم القول في ذلك من التابعين أصحاب ابن عباس وفيهم ثقات وضعفاء فمن الثقات مجاهد بن جبر ويروى التفسير عنه من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد ، والطريق إلى ابن أبي نجیح قوية فإذا ورد عن غيره بينته ، ومنهم عكرمة ويروى التفسير عنه من طريق الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عنه ومن طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبیر - هكذا بالشك - ولا يضر لكونه يدور على ثقة ... ثم ذكر طريق علي بن أبي طلحة وعطاء بن أبي رباح ثم قال : ومن روايات الضعفاء فساقها

● أن أبا داود روى له روايتين وسكت عنه فرواية أبي داود له وسكوته عنه يؤيد حكم الحافظ ابن حجر أن إسناده حسن ، وسكت عنهما المنذري في مختصره لسنن أبي داود وعلق على الروائين بقوله : في إسناده محمد ابن إسحاق . فقط .

أن ابن كثير ساق عدة روايات في تفسير قوله تعالى ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ منها هذه الطريق ثم قال : وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس . وحكمه بأن هذه الأسانيد صحيحة إما بمجموعها أو أن بعضها تقوى من الحسن إلى الصحيح لغيره .

ومن الجدير بالذكر أن ابن كثير صدر الأسانيد بطريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد المذكور وأيضا أنه رجحه لأن فحوى معناه المباهلة وهو الرأي الذي تمسك به ابن كثير ورد به على الطبري ، لأن الطبري رجح المراد من التمني أن يدعوا على أنفسهم بالموت .

- وقد يرجح الطبري هذا الطريق في بعض الأحيان مما يدل أنه يذهب إلى ثبوت هذا الإسناد .

- وقد روى الطبراني من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، وقال الهيثمي : ورجاله موثقون .

وبهذا يكون قد اعتمد هذا الإسناد الإمام الطبري والحافظ ابن حجر والهيثمي والسيوطي كما نقل الذهبي في السيرة بهذا الإسناد وسكت عنه .

ومن الجدير بالذكر أن أغلب روايات محمد بن إسحاق بهذا الإسناد في نطاق المغازي والسير وكثير من هذه الروايات موجودة في سيرة ابن هشام بالإسناد المذكور أو بحذفه ، ومن المعروف أن الأمة قد تقبلت روايات ابن إسحاق في المغازي والسير فلا غرابة من تحسين هذا الإسناد وقد أكثر الطبري وابن أبي حاتم في روايتهما عن ابن إسحاق بهذا الإسناد ، ورواية ابن أبي حاتم غالبا ما تكون عن محمد بن العباس بن بسام تارة وعن محمد بن يحيى الواسطي تارة كلاهما عن أبي غسان محمد بن عمرو زنيج عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق به . ورواية الطبري غالبا ما تكون عن أبي كريب محمد بن العلاء عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق به . وأبو كريب ثقة ، ويونس بن بكير هو ابن واصل الشيباني : صدوق يخطئ وقد روى له مسلم ، ووصفه الذهبي بالإمام الحافظ الصدوق . وقال أيضا : وهو حسن الحديث .

وأما أنه يخطئ فلا يضر لأن ما يرويه عن ابن إسحاق من كتاب وهو السيرة كم تقدم أو من كتاب آخر لابن إسحاق لأن ما يرويه عن ابن إسحاق بإسناد واحد لا يتغير وهو الإسناد الذي نتكلم عنه .

وابن إسحاق : هو محمد بن إسحاق : بن يسار قال الحافظ ابن حجر في التقريب : إمام الغازي صدوق يدللس ويرمى التشيع والقدر .

وقد تكلم فيه ، وحرر له الخطيب البغدادي ترجمة حافلة بلغت عشرين صفحة ذب فيها عنه كل ما قيل فيه .

وقد تقبلت الأمة رواياته في السير والمغازي وكفى بقول الحافظ ابن حجر : إمام المغازي
وبالنسبة لما وصم به من تدليس فقد صرح في هذا الإسناد بالسماع .

ومحمد بن العباس بن بسام مولى بني هاشم قال عنه ابن أبي حاتم : كتبت عنه وهو صدوق .
ومحمد بن يحيى بن عمرو الواسطي قال عنه ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي وكان رجلا
صالحا صدوقا في الحديث سئل أبي عنه فقال : ثقة .

وأبو غسان محمد بن عمرو ، لقبه زنيج ثقة .

وسلمة بن الفضل الأبرشي : صدوق كثير الخطأ ولكن في غير روايته عن محمد بن إسحاق
فقد نقل الحافظ ابن حجر عن يحيى بن معين قال سمعت جريرا يقول : ليس من لدن بغداد
إلى أن يبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة .

ونقل الذهبي عن ابن معين قال : كتبنا عنه وليس في المغازي أتم من كتابه . ونقل عن زنيج
قال : سمعت سلمة الأبرشي يقول سمعت المغازي من ابن إسحاق مرتين وكتبت عنه من
الحديث مثل المغازي

وقد ساق الحافظ ابن حجر حديثا بإسناده من طريق سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق
ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

طريق عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس :

أشهر من روى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس ابن جريج وابن أبي نجيح وعمرو بن
دينار .

رواية ابن جريج ذكرها ابن حجر في الفتح وصححها .

ورواية ابن أبي نجيح أخرجها البخاري في الصحيح .

ورواية عمرو بن دينار ذكرها الحافظ ابن حجر وصححها . وكذا العيني .

طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس :

وهي صحيفة مشهورة تداولها العلماء وأكثرهم نقلا الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما ،
فقد كادا أن يستوعبا هذه الصحيفة .

ويروي ابن أبي حاتم هذه الصحيفة غالبا عن أبيه ، ثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ،
عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

وأبو صالح : هو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم المصري كاتب الليث صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه . وقد تكلم فيه ، وقال الذهبي : الإمام المحدث ، وعرض أقوال النقاد وذب عنه معظم ما قيل فيه ولا داعي لسرد الأقوال فيه لأن الحافظ ابن حجر ذكر القول الفصل في هدي الساري فقال ظاهر كلام هؤلاء الأئمة أن حديثه في الأول كان مستقيماً ثم طرأ عليه فيه تخليط ، فمقتضى ذلك أن ماجاء من روايته من أهل الحذق كيحيى بن معين وأبي زرعة وأبي حاتم فهو من صحيح حديثه ، وما جاء من روايات الشيوخ عنه فيتوقف فيه . ١. هـ ثم سرد الأحاديث التي رواها البخاري عنه في صحيحه .

والراوي هنا عنه أبو حاتم - في تفسير ابن أبي حاتم - وهو من أهل الحذق فروايتهم من صحيح حديثه كما قرر الحافظ .

- معاوية بن صالح : صدوق له أوهام .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة علي بن أبي طلحة : ونقل البخاري من تفسيره رواية معاوية ابن صالح عنه ابن عباس شيئاً كثيراً في التراجم وغيرها ولكنه لا يسميه يقول قال ابن عباس أو يذكر عن ابن عباس .

- علي بن أبي طلحة : مولى بني العباس ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، صدوق قد يخطئ وقد تكلم في روايته عن ابن عباس بأنه لم يسمع منه وأجاب عن ذلك أبو جعفر النحاس فقال : والذي يطعن في إسناده يقول : ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة ، وهذا القول لا يوجب طعنا لأنه أخذه عن رجلين ثقتين وهو في نفسه ثقة صدوق . ١. هـ

وأرى أن الوسطة هو : مجاهد ، إذ قارنت كثيراً من نصوص مجاهد في تفسيره مع روايات علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، فوجدتها متوافقة غير مختلفة . ويؤكد هذا أني وقفت على رواية في تفسير النسائي والأموال لابن زنجويه من طريق علي بن أبي طلحة عن مجاهد عن ابن عباس .

وذكر الحافظ ابن حجر في كتابه - العجائب في بيان الأسباب - الرواة الثقات عن ابن عباس فقال : وعلي صدوق ، ولم يلق ابن عباس لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه فلذلك كان

البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة . ونقل السيوطي عن ابن حجر أنه قال : بعد أن عرفت الوساطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك .

وروى أبو جعفر النحاس بإسناده عن الإمام أحمد قال : بمصر صحيفة تفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا . وفي رواية : ما ذهبت باطلا . وأخرج الآجري من طريق جعفر بن محمد بن فضيل الراسبي قال : حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد قال : حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾ قال : غير مخلوق .

وقد بلغ الإمام أحمد بن حنبل هذا الحديث فكتب إلى جعفر بن محمد بن فضيل يكتب إليه بإجازته فكتب إليه بإجازته فسر أحمد بهذا الحديث . نستنتج من هذا أن الإمام أحمد قد اعتمد هذا الطريق .

وقال يوسف بن عبد الهادي الحنبلي ت ٩٠٩هـ : وقد نقلت عن ابن عباس تفاسير متعددة لجميع القرآن من طرق شتى ومن أجودها التفسير الذي رواه معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .١.هـ ثم ذكر الانقطاع وذكر الوساطة مجاهدا وعكرمة .

وقال السيوطي : وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه . فالإسناد حسن .

وبالنسبة لأبي صالح عبد الله بن صالح أنه صدوق كثير الغلط فلا يضر كثرة غلظه لأن ما يرويه عن نسخة وغلظه في حفظه لا في كتابه وقد تقدم أنه ثبت في كتابه . وكذا الحال بالنسبة لأوهام معاوية بن صالح لأن ما يرويه عن نسخة علي بن أبي طلحة : قال الحافظ ابن حجر عند الكلام على هذه النسخة : وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه هذا كثيرا على ما بيناه في أماكنه وهي عند الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح . وكذا عند الحاكم فقد روى مثل هذا الإسناد وصححه ، وسكت الذهبي . وحسنه الهيثمي (المجمع ٧/١١٩) .

قال الشيخ حكمت بشير : ولأهمية هذا الطريق اقترحت على الأخ د. أحمد عبد اللطيف عايش أن يدرس هذا الإسناد ويجمع الصحيفة وقد قام بذلك في تحضيره لرسالة

الماجستير في جامعة أم القرى ومن الموافقة أن أسندت إلي مناقشة هذه الرسالة وكنت أحد المناقشين لها في عام ١٤٠٩ هـ .

ثانيا : التابعون :

● الإسناد عن عطاء بن أبي رباح :

- طريق ابن أبي نجيح عنه :

ويرويه الطبري عن محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن عطاء ابن أبي رباح .

ورجاله ثقات يأتي ذكرهم مفصلا في طرق مجاهد بن جبر والإسناد صحيح .

● الإسناد عن عكرمة مولى ابن عباس :

طريق حصين عن عكرمة :

ذكره ابن كثير وصححه ، وصححه الحافظ ابن حجر أيضا . وله طرق أخرى كثيرة تقدمت في عرض طرق ابن عباس .

● الإسناد عن قتادة بن دعامة السدوسي :

روى تفسير قتادة جماعة وأشهرهم :

- سعيد بن أبي عروبة البصري .

- شيبان بن عبد الرحمن النحوي .

- معمر بن راشد الأزدي .

طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة :

يرويه الطبري عن بشر بن معاذ العقدي ، عن يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

وقد صححه الحافظ ابن حجر . رجاله ثقات على شرط الشيخين إلا بشر بن معاذ صدوق والإسناد حسن والله أعلم .

وسعيد بن أبي عروبة بن مهران الشكري ، مولاهم أبو النضر البصري ثقة حافظ ، له تصانيف لكنه كثير التدليس ، واختلط وكان من أثبت الناس في قتادة ، روى له الجماعة .

وبالنسبة لتدليسه ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثانية من المدلسين . وبالنسبة لاختلاطه فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن حبان في الثقات أنه مات سنة (١٥٥هـ) وبقي في اختلاط خمس سنين ولا يحتج إلا بما روى عنه القدماء مثل يزيد بن زريع وابن المبارك

وقال ابن عدي : وسعيد من ثقات المسلمين وله أصناف كثيرة وحدث عنه الأئمة ومن سمع منه قبل الاختلاط فإن ذلك صحيح حجة ومن سمع بعد الاختلاط فذلك مالا يعتمد عليه ... أرواهم عنه عبد الأعلى وهو مقدم في أصحاب قتادة ومن أثبت الناس رواية عنه ... وأثبت عنه يزيد بن زريع و... .

ونقل الذهبي عن ابن معين أنه أثبت الناس في قتادة ، ونقل عن ابن أبي حاتم أنه ثقة قبل أن يختلط وكان أعلم الناس بحديث قتادة . وكذا نقل عن الطيالسي .

وبالنسبة لتفسيره فقد سئل ابن معين : أيما أحب إليك تفسير سعيد عن قتادة أو تفسير شيبان عن قتادة ؟ فقال : سعيد .

ولكن ابن أبي حاتم نقل عن يحيى بن سعيد أنه قال : سعيد بن أبي عروبة لم يسمع التفسير من قتادة .

والصحيح أنه سمع التفسير من قتادة بدليل ما رواه البخاري من طريق يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد عن قتادة . قال العيني : وسعيد : هو سعيد بن أبي عروبة .

ونقل الذهبي عن أحمد بن حنبل قال : زعموا أن سعيد بن أبي عروبة قال : لم أكتب إلا تفسير قتادة ، وذلك أن أبا معشر كتب إلي أن اكتبه .

وقد أفاد الإمام أحمد من تفسير سعيد عن قتادة وصرح أنه من تفسير سعيد . وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ثابت .

والخلاصة : أن رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة صحيحة وكفى باعتماد البخاري عليها . كما صحح الذهبي رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

- يزيد بن زريع : بتقديم الزاي مصغرا ، البصري ، أبو معاوية ثقة ثبت روى له الجماعة .
 - بشر بن معاذ العقدي : بفتح المهملة والقاف ، وأبو سهل البصري الضرير ، صدوق .
- وعلى هذا فالإسناد حسن وقد يعود تصحيح ابن حجر لهذا الإسناد بسبب رواية بشر بن معاذ من كتاب التفسير ، أو بسبب اعتماد الأئمة النقاد على هذا التفسير والله أعلم .

ويروي ابن أبي حاتم هذا الإسناد عن شيخه محمد بن يحيى عن العباس بن الوليد ، ثنا يزيد بن زريع به .

ومحمد بن يحيى : هو ابن عمر الواسطي نزيل بغداد قال ابن أبي حاتم كتبت عنه مع أبي وكان رجلا صالحا صدوقا في الحديث ، سئل أبي عنه فقال : ثقة .

والعباس بن الوليد : هو ابن نصر النرسي ثقة روى له الشيخان . وهو معروف بالرواية عن يزيد بن زريع .

ورجاله ثقات على شرط الشيخين إلا محمدا شيخ ابن أبي حاتم والإسناد صحيح .

طريق شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة :

يرويه ابن أبي حاتم عن موسى بن هارون الطوسي ، ثنا الحسين بن محمد المروزي ، ثنا شيبان بن عبد الرحمن التميمي عن قتادة .

ورجاله ثقات على شرط الشيخين إلا موسى وهو ثقة فالإسناد صحيح كما يلي :

- شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي أبو معاوية البصري نزيل الكوفة ثقة صاحب كتاب روى له الجماعة .

- الحسين بن محمد المروزي : التميمي نزيل بغداد ثقة روى له الجماعة .

- موسى بن هارون الطوسي : أبو عيسى نزيل بغداد روى عن حسين بن محمد المروزي تفسير شيبان النحوي عن قتادة . قال ابن أبي حاتم : كتب إلي بتفسير شيبان وبكتب محمد بن الحسين وسكت عنه .

ويروي ابن أبي حاتم هذا الإسناد بهذه الصيغة : أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي ثنا ... الإسناد نفسه .

ووثقه الخطيب البغدادي .

هذا وقد أخرج الإمام البخاري طريق الحسين بن محمد عن شيبان عن قتادة . كما أفاد

الإمام أحمد من تفسير شيبان عن قتادة حيث صرح بذلك في مسنده في تسعة مواضع فيقول: ثنا حسين في تفسير شيبان عن قتادة .

طريق معمر بن راشد عن قتادة :

أكثر العلماء نقلا عن معمر بن راشد عن قتادة في التفسير هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني في تفسيره ومصنفه ، وأغلب تفسيره عن معمر عن قتادة .

وقد صحح إسناده الحافظ ابن حجر وهو كما قال ؛ لأن رجاله ثقات والإسناد متصل على شرط الشيخين كما يلي :

- معمر بن راشد : الأزدي الأموي ، أبو عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا وكذا فيما حدث بالبصرة روى له الجماعة . وهو معروف بالرواية عن قتادة بن دعامة وبرواية عبد الرزاق عنه .

- قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب البصري ثقة ثبت روى له الجماعة ، ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثالثة في المدلسين وقد سمع من أنس وسعيد بن المسيب وأبي رافع على خلاف ولم يسمع من أبي بردة وخلص بن عمرو ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير .

وإسناد عبد الرزاق عن معمر عن قتادة يرويه الطبري وابن أبي حاتم من طريق الحسن بن أبي الربيع - أي الحسن بن يحيى - عن عبد الرزاق به . وقد حكم شيخ الإسلام على طريق معمر عن قتادة بأنه ثابت .

● الإسناد عن مجاهد بن جبر المخزومي :

اشتهر ابن أبي نجيح برواية التفسير عن مجاهد ويكاد تفسير مجاهد يدور محور إسناده على ابن أبي نجيح ، فمن الطرق إلى ابن أبي نجيح عن مجاهد ما يلي :

أولا : طريق عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد :

ويروي الطبري غالبا هذا الطريق فيقول :

حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد .

ومحمد بن عمرو هو : أبو بكر الباهلي البصري : ثقة .

وأبو عاصم : هو الضحاك ابن مخلد : ثقة ثبت .

وعيسى بن ميمون : هو الجرشي : ثقة .

وابن أبي نجيح : هو عبد الله بن يسار المكي أبو يسار الثقفي مولاهم ثقة رمي بالقدر ، وهو من مدلسي المرتبة الثالثة ، وقد تكلم فيه وفي روايته عن مجاهد فنقل الذهبي أنه لم يسمع التفسير كله من مجاهد ، ونقل أيضا عن البخاري أنه كان يتهم بالاعتزال والقدر ، وعن القطان أنه كان من رؤوس الدعاة . وأجاب الذهبي عن ذلك كله فقال : هو من أخص الناس بمجاهد ونقل عن ابن المديني قال : أما التفسير فهو فيه ثقة يعلمه ، قد قفز القنطرة واحتج به أرباب الصحاح ولعله رجع عن البدعة وقد رأى القدر جماعة من الثقات وأخطؤوا .

ونقل ابن أبي حاتم عن وكيع قال : كان سفيان يصحح تفسير ابن أبي نجيح . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقول القائل : لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه : أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب تفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا أن يكون نظيره في الصحة . كما وثقه جمع من الأئمة النقاد كابن معين وأحمد وأبي زرعة والنسائي وابن سعد والعجلي والذهبي . وعلى هذا فرجاله ثقات وإسناده صحيح وصححه الحافظ ابن حجر . وقد أورد الطبري هذا الإسناد كثيرا .

ثانيا : طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد :

ورقاء : هو ورقاء بن عمر اليشكري ، أبو بشر الكوفي ، نزيل المدائن وقد اختلف فيه ، فنقل ابن حجر عن حرب قال : قلت لأحمد : ورقاء أحب إليك في تفسير ابن أبي نجيح أو شيان؟ قال : كلاهما ثقة وورقاء أوثقهما إلا أنهم يقولون لم يسمع التفسير كله ، يقولون : بعضه عرض ونقل عن يحيى بن سعيد قال معاذ : قال ورقاء : كتاب التفسير قرأت نصفه على ابن أبي نجيح وقرئ علي نصفه . وعن الدوري قال : قلت لابن معين : ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قلت : أيما أحب إليك تفسير ورقاء أو ابن جريج ؟ قال : ورقاء لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفا واحدا .

وقد وثقه أحمد وابن معين ووكيع ، وأما ما قيل فيه ففي روايته عن منصور .

قال الحافظ في التقریب : صدوق ، في حديثه عن منصور لين . ١.هـ

روى له الجماعة . وقد أورد البخاري مثل هذا الإسناد في صحيحه في كتاب التفسير باب ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ .

وأورد ابن أبي حاتم هذا الإسناد كثيرا في تفسيره يرويه عن حجاج بن حمزة ، ثنا شبابة ، ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد .

وشبابة : هو ابن سوار المدائني أصله من خراسان يقال : كان اسمه مروان مولى بني فزارة ، ثقة حافظ روى له الجماعة .

وحجاج بن حمزة هو ابن سويد العجلي الحشابي ، ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة أنه : شيخ مسلم صدوق .

وعلى هذا فالإسناد حسن .

قال أبو أحمد : ومن الجدير بالذكر أن الحافظ محمد يوسف الفريابي ت ٢١٢ هـ شيخ البخاري اعتمد كثيرا في تفسيره على إسناد ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقد جمعت الروايات التي نقلها الحافظ ابن حجر في تعليق التعليق من هذا التفسير فبلغت ٢٩٨ رواية . كلها من الطريق إلا بضع روايات رواها من طرق أخرى .

وكذا الحافظ عبد بن حميد ت ٢٤٩ هـ أورد هذا الإسناد في تفسيره من طريق شيخه شبابة عن ورقاء به .

ثالثا : طريق شبل بن عباد المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد :

ويروي من هذا الطريق الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما .

وقد نقل الذهبي مثل هذا الإسناد في كتابه (العلو) ثم قال : هذا ثابت عن مجاهد .

وشبل بن عباد المكي : ثقة فالإسناد صحيح .

كما توجد طرق أخرى عن مجاهد غير طريق ابن أبي نجيح تقدم ذكرها في طرق مجاهد عن ابن عباس ، فلا حاجة لتكرارها .

وهذه دراسة مختصرة من أحد طلبة العلم لهذه الطريق :

أكثر من ثلثي تفسيره من هذا الطريق لكن أهل العلم اعتمدوه صححوه وقبلوه بل جعلوه من اصح طرق التفسير المروية، وذلك لأن أهل العلم حملوه على المتصل مجازا للعلم بالواسطة، قال علي بن المديني: [أما التفسير فهو ثقة فيه يعلمه وقد قفر القنطرة].

قال يحيى بن سعيد القطان: [لم يسمع التفسير من مجاهد] .

لكن قال الذهبي معلقا على قول القطان: [وهو من اخص الناس بمجاهد]

وقال وكيع: [كان سفیان الثوري يصحح تفسير ابن ابي نجیح]

وكونه لم يسمع من مجاهد لا يقدر به فهو متخصص بحديثه بل روايته اقوى من غيره ممن لاقاه من تلاميذه فهو كرواية ابن المسيب عن عمر .

والواسطة معلومة وهو القاسم بن ابي بزة ثقة معروف أخرج له الجماعة.

قال ابن حبان: لم يسمع التفسير من مجاهد غير القاسم بن ابي بزة وكل من يروي عن مجاهد التفسير فإنما اخذه من كتاب القاسم .

وقال: ابن ابي نجیح وابن جريج في كتاب القاسم عن مجاهد في التفسير روي عن مجاهد عن غير سماع.

إذن فإسناد تفسير مجاهد هذا من أصح الأسانيد المروية في التفسير .

وقال آخر :

لا أعرف أحدا منهم ترك الاحتجاج بها سوى ابن الأنباري و ليس من أئمة هذا الشأن ، وأظنه أعلها بالانقطاع و هذا لا شيء بعد أن علمت الوساطة ، و لأن روايته عن مجاهد كتاب .

قال ابن تيمية :

و على تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري و الشافعي وأحمد بن حنبل و البخاري قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به و الشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن ابي نجیح عن مجاهد وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل لا تصح رواية ابن ابي نجیح عن مجاهد جوابه أن تفسير ابن ابي نجیح عن مجاهد من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن ابي نجیح عن مجاهد إلا أن يكون نظيره في الصحة (المجموع ١٧/٤٠٨-٤٠٩)

• الإسناد عن ابي العالية رفيع بن مهران الرياحي :

طريق الربيع بن أنس عن ابي العالية :

يروى هذا الطريق الطبري وابن ابي حاتم وتقدم الكلام عنه في طريق ابي بن كعب رضي الله عنه فليُنظر هناك .

● نسخة تفسير السدي :

إسناد هذه النسخة رجاله هم :

أسباط بن نصر الهمداني الكوفي صدوق تكلم فيه البعض لأوهام وقع فيها ولا يضر ذلك هنا لأن روايته لنسخة تفسيرية فأوهامه متعلقة بضبط صدره لا بضبط كتابه .

السدي واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة قيل له السدي _ بضم السين المهملة وتشديد الدال المهملة أيضا _ نسبة إلى سدة مسجد الكوفة كان يقعد عندها يبيع المقانع وهو صدوق من صغار التابعين له بعض الأوهام وحديثه حسن وقد احتج به مسلم في صحيحه وهو إمام في التفسير .

قال الحافظ : صدوق يهيم ، ورمي بالتشيع من الرابعة مات سنة سبع وعشرين التقريب (٧١/٧٢) رقم ٥٣١ .

وانظر ترجمته في التاريخ الصغير للبخاري (٣٤٨/١) ، والتاريخ الكبير للبخاري (٣٦١/١) رقم ١١٤٥ ، والجرح والتعديل (١٨٤/٢ - ١٨٥) رقم ٦٥٢ ، وتهذيب الكمال (١٣٢/٣) - (١٣٨) رقم ٤٦٢ ، والتهذيب (٣١٣/١ - ٣١٤) رقم ٥٧٢ ، وميزان الاعتدال (٢٣٦/١ - ٢٣٧) رقم ٩٠٧ .

أبو مالك واسمه غزوان الغفاري وهو تابعي ثقة .

قال الحافظ : الكوفي مشهور بكنيته ثقة من الثالثة التقريب (١٠٥/٢) رقم ١١

وانظر ترجمته في الجرح والتعديل (٥٥/٧) رقم ٣١٨ وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ص ١٨٤ رقم ١١٢٠ والتهذيب (٢٤٥/٨ - ٢٤٦) رقم ٤٥٢ .

أبو صالح واسمه باذام أو باذان مولى أم هانئ تابعي فيه ضعف لا يحتج بما انفرد به ، وهو يروي في التفسير خاصة ما لا يتابع عليه .

مرة بن شراحيل الهمداني الكوفي تابعي كبير ثقة من العباد وقيل أدرك النبي ﷺ .

قال الحافظ : الهمداني بسكون الميم أبو إسماعيل الكوفي هو الذي يقال له : مرة الطيب ثقة

عابد من الثانية مات سنة ست وسبعين وقيل بعد ذلك التقريب (٢٣٨/٢) رقم ١٠٠٧

وانظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٦/٦-١١٧) وتاريخ الثقات ص ٤٢٤ رقم ١٥٥٥ ، والثقات لابن حبان (٤٤٦/٥) ، وتهذيب الكمال (٣٧٩/٢٧-٣٨١) رقم ٥٨٦٥ .

قال العجلي : السدي ثقة عالم بالتفسير راوية له . وقيل للشعبي : إن السدي قد أعطي حظا من علم القرآن فقال : قد أعطي حظا من جهل بالقرآن . فأجاب الذهبي عن ذلك بقوله : ما أحد إلا وما جهل من علم القرآن أكثر مما علم وقد قال إسماعيل بن أبي خالد : كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله ... ومر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر فقال : إنه ليفسر تفسير القوم . انظر : التهذيب ٣١٣/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٥/٥ قال الساجي : حكى عن أحمد : إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادا واستكلفه .

وقد ذكر ابن جرير في أول تفسيره رواية مشككة بهذا الإسناد ثم قال بعدها : ولست أعلمه صحيحا إذ كنت بإسناده مرتابا . ولم يوضح (التفسير ٣٥٤/١) وقد أكثر من هذه النسخة ولم يجعلها حجة قط كما قال أحمد شاعر (١٥٦/١) وذكر ابن حجر هذه الرواية في العجائب ٢١١/١ ، ٢١٢ في الروايات الضعيفة عن ابن عباس وقال : جمع التفسير من طرق منها عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وغيرهم وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك .

وذكر شيخ الإسلام نحو ذلك في تفسير آيات أشكلت ص ١٦٦-١٦٧ وقال ابن كثير : قال : فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ، والله أعلم .

والحاكم يروي في مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء ، ويقول : على شرط مسلم وسكت الذهبي في التلخيص . وانظر ما يأتي في آخر الفصل .

وقال الخليلي في الإرشاد ٣٩٨/١ : لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي .

وقال السيوطي في الإتقان ١٨٨/٢ : وتفسير السدي المشار إليه يورد منه ابن جرير كثيرا ... ولم يورد منه ابن أبي حاتم شيئا لأنه التزم أن يخرج أصح ماورد والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الأول وقد قال ابن كثير : إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة .

وقال السيوطي عن هذه الرواية هي أصح إسنادا ففضلها على رواية لعبد الغني الثقفي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وقال بعدها : عبد الغني واه جدا ، وروايتين عن قتادة والحسن (لباب النقول رقم ٥-٩)

قال ابن رجب : ولكن السدي مختلف في أمره وكان الإمام أحمد ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد كما كان هو وغيره ينكرون على الواقدي جمعه الأسانيد المتعددة للحديث الواحد .

وقد نقل ابن رجب أن طائفة من الفقهاء أخذوا برواية من هذه الطريق بل وتأولوا الحديث المتفق عليه لأجلها كما في قصة خلق الجنين في بطن أمه . ()^١
وأطال أحمد شاكر في الحديث عن هذا الإسناد وخلصته أن رجاله ثقات ويحتج بهم وأن هذا الفعل من السدي قد سبقه فيه بعض الحفاظ كالزهري . (١٥٦/١-١٦٠)

ولكنه ظهر منه الارتباب فيه مرة أخرى فقال معقبا على ارتياب ابن جرير في هذا الإسناد : وحق لأبي جعفر رحمه الله أن يرتاب في إسناده فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة في سياق واحد تجمع هذه الأسانيد ... فإذا كان الأمر في تفسير معنى آية كان سهلا مسورا قبوله إذ يكون رأيا أو آراء لبعض الصحابة في معنى الآية وما في ذلك بأس أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث بالإخبار عن واقعة معينة أو وقائع كانت على عهد رسول الله ﷺ من أسباب لنزول بعض الآيات أو نحو ذلك مما يلحق بالحديث المرفوع لفظا أو حكما كان قبول هذا الإسناد ... محل نظر وارتباب إذ هو رواية غير معروف مصدرها معرفة محددة أي هؤلاء الذي قال هذا ؟ وأيهم الذي عبر عنه باللفظ الذي جاء به ؟ نعم إن ظاهره أنه عن الصحابة إما ابن عباس وإما ابن مسعود وإما ناس من

() انظر جامع العلوم والحكم ٥١/١

أصحاب النبي ﷺ فقد يقول قائل : إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة وسواء أعرف الصحابي الراوي أم أبهم اسمه فإن ذلك لا يخرج عن رواية الصحابة وجهالة الصحابي لا تضر . ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة في التفسير وفي الحوادث المتعلقة بأسباب النزول مثل الرواية التي هنا في هذا الموضوع مع إعراض أئمة الحديث الذين خرجوا الروايات الصحيحة والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح عن إخراج هذه الرواية ونحوها وإعراض مؤرخي السيرة عن روايتها أيضا كل أولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية وفي الجزم بنسبتها إلى الصحابة إذ لعلها مما أدرج في الرواية أثناء الحديث بها والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب . (التفسير ٣٤٨/١)

أقول : هذا الذي ذكره أحمد شاكر رحمه الله إنما هو محاولة للخروج من ورطة تصحيح هذا الإسناد لعدم تدقيقه فيه وسوف يأتي بيان التفصيل الذي لا يحتاج معه لمثل هذا المخرج غير الدقيق علميا .

وقبل حديثنا عن هذا الإسناد لا بد من التنبيه لنقاط هامة :

الأولى : أن السياق الغالب لهذا الإسناد لدى الكتب التي خرجت رواياته هكذا :

السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة

أعني بإثبات عن قبل أبي صالح .

وقد ورد ذلك كذلك عند الطبري في أربعة وستين موضعا في تفسيره منها ٦٨/١ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ... إلخ

وفي تاريخه في ست وعشرين موضعا منها ٣٢/١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ... إلخ

كما أخرج له ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٥١/١ وفي التخويف من النار ١٠١/١ وكذا الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٢٢/١

والمنقول من هذه النسخة في تفسير ابن كثير كله بإثبات عن ، ومن ذلك ٢٨/١ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ... إلخ

وجاء عند الطبري ٦٨/١ ، ١٤٢/١٦ وكذا عن ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٥١/١ السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح ... إلخ

الثانية : أن بعض المخرجين ورد عنده السند بإسقاط عن أي : عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس... إلخ ولم أقف على ذلك إلا عند الطبري في تاريخه في موضع واحد ٢٧٦/١ والحاكم في موضع واحد ٦٤٥/٢ في قصة زكريا عليه السلام وعند البيهقي في الكبرى ٣٤١/٤ في أمر الحج ، ٣٦٧/٧ في الطلاق ، ٢٨٦/١٠ في قصة مريم ، وعند اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٥٩/٣ في النظر إلى الله في الآخرة . ووقعت كذلك في نقل نقله الحافظ ابن حجر في الفتح ٦٦٥/٨ عن سعيد بن منصور بسنده مقتصرًا على رواية ابن عباس فقط في تفسير لما طغى الماء .

الثالثة : أن جل روايات هذا التفسير في سورة البقرة فمن مجموع أربعة وستين موضعا عند الطبري يوجد في المجلد الأول منها أربعة وخمسون موضعا والعشرة مواضع الباقية متفرقة في بقية التفسير .

وقد نقل ابن كثير عن هذه النسخة في المجلد الأول ثمانية وعشرين موضعا من مجموع ثلاثين والموضوعان الباقيان في المجلد الثاني فقط .

الرابعة : أن هذه النسخة يرويها أسباط عن السدي هكذا وقد روى شيئا منها غيره عن السدي مقتصرين على بعض الأسانيد ومنهم :

شعبة وسفيان وإسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله عند ابن أبي شيبة ٢٦٨/٣ وأحمد ٤٣٣/١ ، ٤٣٤ ، ٤٥١ والبزار ٣٩٠/٥ وأبي يعلى ١٨٦/٩ والطبراني ٢٢٦/٩

شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا عند أبي يعلى ٢٦٢/٩ والحاكم ٤٢٠/٢ شعبة وإسرائيل عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا عند الترمذي ٣١٧/٥ والحاكم ٤٠٧/٢ ، ٦٣٠/٤ وحسنه الترمذي من طريق إسرائيل

شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا عند الترمذي ٣١٧/٥ والحاكم ٦٣٠/٤ سفيان عن السدي عن أبي مالك قوله عند عبد الرزاق ٣٣٧/٣ وابن أبي شيبة ٢٣٥/٣ ، ٣٣٨/٦ ونقل منها القرطبي ٢٥٦/٢

إسرائيل عن السدي عن أبي مالك قوله عند ابن أبي شيبة ٢٢/٤ ، ٤٤ ، ١٩٦ وعبد الله بن أحمد في السنة ٣٠٣/١ ، ٤٥٤/٢ وابن حزم في المحلى ١١٩/٩ ونقل منها القرطبي ٢٧٧/٣ ، ١٣٤/١٥

إسرائيل عن السدي عن أبي صالح قوله عند عبد الله في السنة ٤٦٨/٢
عبد الملك بن الحسين عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس عند أبي الشيخ في العظمة
١٢٨٥/٤

الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس عند ابن عدي في الكامل
٢٠٨، ٢٠٩/٢ ونقل منها في لسان الميزان ٤٩/١

الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عند ابن أبي عاصم في السنة ٣٠٣/١
شريك عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس عند الطحاوي في شرح معاني الآثار
٣٣٢/٤ ، ابن عبد البر في التمهيد ٢٣٦/١٦

الخامسة : أخرج جماعة من أهل العلم بعض هذه الأسانيد متفرقة مثل :

أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . عند الحاكم ٦١٣/٢ وقال : صحيح على شرط مسلم
أسباط عن السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن عبد الله
قالا ... عند الحاكم ٦٤٥/٢ ، ٦٤٨ وقال : صحيح على شرط مسلم .

أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود ... عند الحاكم ٢٨٤/٢ ، ٢٩٩ ، ٣٥٢ ،
٦٢٢ وقال فيها كلها الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

وقد ظن البعض () أن مرواه الحاكم بالإسناد إلى ابن مسعود لعله من الطرق الأخرى وإنما
اختار الحاكم هذا الإسناد من الأسانيد المجموعة .

وفي هذا الكلام نظر من وجوه الأول : تخطئة إمام بغير حجة إذ كيف يفعل الحاكم هذا
الفعل ويلبس على الناس هذا التلبيس بل ويوهمهم صحة الإسناد بهذا الصنيع ثم يجزم بصحته
على شرط مسلم ؟

الثاني : كيف يسكت الذهبي على مثل ذلك وهو خطير وقد تكلم في أهون منه .

الثالث : لماذا لم يخرج الحاكم تفسير السدي كاملا إذ كان الأمر كذاك ؟

() انظر تحقيق أبي إسحق ٤٩٠/١

الرابع : ثبوت رواية السدي وغيره مقتطفات من هذا التفسير بأسانيد مستقلة عند غير الحاكم كما قدمنا فما رواه الحاكم من هذا القبيل .

الخامس : أن هذه دعوى وهي خلاف الظاهر فتفتقر للدليل .
ومما أخرج أيضا مفرقا :

السدي عن أبي صالح عن ابن عباس عند الطبراني في المعجم الكبير ١٤٧/١٢
وقال ابن حجر : ففي تفسير السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وعن غيره في قوله تعالى :
قل الروح من أمر ربي يقول : هو خلق من خلق الله ... إلخ . الفتح ٤٤٣/١٣
وفيه أيضا عند عبد بن حميد من طريق السدي عن أبي صالح : الأسباب الأعمال . الفتح
٣٩٣/١١

وبعد ماتقدم من تتبع على عجل أقول :

أولا : هذا الإسناد نسخة تفسيرية يؤمن معها الوهم والخطأ الذي يخشى من بعض رواياته
بدليل وصفه عند أهل العلم بتفسير السدي .

ثانيا : لم يكمل السدي تفسيره هذا وإنما شرع فيه بدليل توقف الروايات بهذا الإسناد تقريبا
بعد جزء من البقرة اللهم إلا روايات يسيرة .

ثالثا : هذا الإسناد جل من تكلم فيه قسمه إلى ثلاثة أسانيد :

السدي عن أبي مالك وأبي صالح كلاهما عن ابن عباس

السدي عن مرة عن ابن مسعود

السدي عن ناس من الصحابة

وهناك قول رجحه البعض وهو جعل الأخيرين قسما واحدا السدي عن مرة ومرة يرويه عن
ابن مسعود وناس من الصحابة والمتأمل للروايات يرى ضعف هذا القول .

ولو كان الأمر يدور بين الثلاثة والاثنين لكان هذا الإسناد صحيحا لما يلي :

الطريق الأول صحيح وأبو صالح قد تابعه أبو مالك فلا يضر ما قيل فيه .

الطريق الثاني صحيح لا غبار عليه

الطريق الثالث صحيح أيضا إلا أنه يحتمل الإرسال وقد أدرك السدي ناسا من الصحابة

كأنس وسعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد وأبي هريرة والحسن بن

علي فالذي يعله بالإرسال مطالب بالدليل . وقول الشيخ أبي إسحق عنه لم يدرك أحدا من الصحابة () ليس بصحيح .^١

وعلى ما رجحه البعض فهو متصل بلا شك لوجود مرة بين السدي والصحابة .

وحقيقة الأمر أن هذا الإسناد مقسم إلى أربعة أسانيد ويحتمل خمسة :

فأما الأربعة وهي مؤكدة :

السدي عن أبي مالك عن ابن عباس

السدي عن أبي صالح عن ابن عباس

السدي عن مرة عن ابن مسعود

السدي عن ناس من الصحابة

فعلى هذا ظهر لنا إسناد ضعيف وهو طريق أبي صالح عن ابن عباس وقد وهم البعض في

اعتبار رواية أبي مالك متابعة لرواية أبي صالح على هذا التقسيم . ()^٢

وأما الخمسة وهي محتملة :

السدي عن أبي مالك قوله

السدي عن أبي مالك عن ابن عباس

السدي عن أبي صالح عن ابن عباس

السدي عن مرة عن ابن مسعود

السدي عن ناس من الصحابة

وهنا ظهر لنا نفس الإسناد الضعيف السابق ويضاف إليه طريق موقوف أو في حكم المرسل

في بعض الأحيان وهو طريق أبي مالك .

وقد يؤيد القول بالخمس ما قدمناه من كثرة الطرق التي بإثبات عن قبل ذكر أبي صالح مع

ثبوت رواية السدي عن أبي مالك من قوله بعض التفسير من طرق أخرى ولا يمنع هذا أن

() انظر ٤٨٩/١^١

() انظر تحقيق الحويني ٤٨٩/١^٢

يكون ما ذكره أبو مالك في التفسير إنما استفاد كثيرا منه من ابن عباس كما ظهر بعض ذلك في الطرق المشار إليها من قبل .

رابعا : قام السدي بخلط ما سمعه من هذه الطرق كل على حدة فساقه مساقا واحدا بهذا الإسناد ولذا أصبح منسوباً إليه فيقال تفسير السدي وهذا هو السبب الذي جعل ابن أبي حاتم _ والله أعلم _ لا يسند ما ذكره من هذا التفسير فلا يجاوز به السدي ، وبناء عليه فقد يكون جل هذا التفسير من رواية أبي صالح عن ابن عباس الضعيفة وربما يكون قدر كبير منه إنما هو عن أبي مالك من قوله وهكذا .

خامسا : بعد تقرير ماتقدم لا يمكن الجزم بصحة هذا التفسير إلا في حالات معينة ومنها : أن يخرج أحد المصنفين رواية منه مميزة مقتصرة على طريق واحد ويكون هذا الطريق صحيحا كما عند الحاكم في بعض المواضع .

أن يأتي ما يشهد لطريق منها من غير رواية السدي كأن يأتي ما يوافق هذه النسخة من تفسير مجاهد أو سعيد بن جبير من تلاميذ ابن عباس الكبار أو من طريق آخر عن ابن عباس مما يقوي أن هذه الرواية من طريق ابن عباس . أو نحو ذلك مع غيره . أن تأتي روايات من طرق أخرى توافق ما جاء في هذا التفسير مما يقوي صحة نقل ذلك عن الصحابة .

ويجزم بضعف هذا التفسير إذا انعدم ما تقدم أو ثبتت مخالفته للروايات الصحيحة عن ابن عباس أو غيره من الصحابة أو ثبتت موافقته لما روي من طرق أخرى عن أبي صالح عن ابن عباس من روايات غير معتبرة .

وقد تساهل البعض أو وهم في قبول هذا الإسناد على إطلاقه ومنهم أحمد شاکر والحوييني في حين رده آخرون مطلقا والصواب التفصيل والله أعلم .

خامسا : أما انتقاد مسألة جمع الروايات في نسق فليست في محلها عند الإطلاق لثبوت ذلك عن ثقات أعرف منهم الزهري كما في الصحيح وابن إسحق كما في مغازيه وعن ضعفاء وأعرف منهم الواقدي كما في مغازيه أيضا ولكن الأمر فيه تفصيل فإذا كان من ثقة وكان الذي جمع رواياتهم كلهم ثقات فلا إشكال البتة وهذا كرواية الزهري في الصحيح حديث الإفك وأما إن فقد إحدى هاتين ففيه الإشكال فإن كان هو ضعيفا فالرواية ضعيفة

وهذا كرواية الواقدي وإن كان ثقة ولكن من جمع رواياتهم ضعفاء فكذلك وإن كانوا خليطاً احتيج للتمييز كما هو الحال في رواية السدي والله الموفق .

فقرة في روايات الحاكم في مستدرکه هذه النسخة :

قال الحاكم :

المستدرک علی الصحيحین ج: ٢ ص: ٢٨٤

٣٠٢٢ أخبرني أبو أحمد محمد بن إسحاق الصفار العدل حدثنا أحمد بن نصر حدثنا عمرو بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملك يوم الدين قال هو يوم الحساب هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

وقال :

المستدرک علی الصحيحین ج: ٢ ص: ٢٩٩

٣٠٧٩ أخبرني محمد بن إسحاق الصفار العدل حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر حدثنا عمرو بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله عز وجل والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس قال عبد الله البأساء الفقر والضراء السقم وحين البأس قال حين القتل هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

وقال :

المستدرک علی الصحيحین ج: ٢ ص: ٣٥٢

٣٢٥٢ أخبرنا أبو أحمد محمد بن إسحاق العدل حدثنا أحمد بن نصر حدثنا عمرو بن طلحة حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال إن أصحاب العجل قالوا هطاً سقماتاً أزه مزباً وهي بالعربية حنطة حمراء قوية فيها شعرة سوداء فذلك قوله عز وجل فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فلما أبوا أن يسجدوا قال أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا إليه قد غشيهم فسقطوا سجداً على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم فقالوا

ما سجدة أحب إلى الله تعالى من سجدة كشف بها العذاب عنكم فهم يسجدون لذلك على شق فذلك قوله عز وجل وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
وقال :

المستدرک علی الصحيحین ج: ٢ ص: ٤٠٧

٣٤٢١ أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا سعيد بن مسعود حدثنا عبيد الله بن موسى أنبا إسرائيل عن السدي قال سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرحال ثم كمشيهم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
وقال :

المستدرک علی الصحيحین ج: ٢ ص: ٦١٣

٤٠٥٩ أخبرنا محمد بن إسحاق الصفار حدثنا أحمد بن نصر حدثنا عمرو بن طلحة حدثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا قال لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكان له ابنتان فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فأتت أبها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحهم وقد كان قومه نهُوه أن يضيف رجلا حتى قالوا حل علينا فليضيف الرجال فجاءهم ولم يعلم أحدا إلا بيت أهل لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومه قالت إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون إليه فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد هؤلاء بناتي هن أظهر لكم مما تريدون قالوا له أو لم ننهك إن تضيف الرجال قد علمت أن ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرضه عليهم قال لو أن لي بكم قوة أو

آوي إلى ركن شديد يقول صلوات الله عليه لو أن لي أنصارا ينصروني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم لحالت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيائي ولما قال لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد بسط حينئذ جبريل جناحيه ففقا أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عميانا يقولون النجا النجا فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض فذلك قول الله عز وجل ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم وقالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فاتبع آثار أهلك يقول وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله إلى الشام وقال لوط أهلكوهم الساعة فقالوا إنا لم نؤمر إلا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته فذلك قول الله عز وجل إلا آل لوط نجيناهم بسحر هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال :

المستدرک علی الصحیحین ج: ۲ ص: ۶۳۲

٤١٠٩ حدثنا محمد بن إسحاق الصفار العدل حدثنا أحمد بن نصر حدثنا عمر بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أني متوفى هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هم بشجرة مثلها ببيت مبني وإذا هم فيه بسرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيب فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه وقال يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى فتم عليه قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فتم فقال يا موسى بل نم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له وكان هارون ألف عندهم وألين لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظ عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم إنه كان أخي

أفتروني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال :

المستدرک علی الصحیحین ج: ٤ ص: ٦٢٩

٨٧٤١ حدثني أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا سعيد بن مسعود ثنا عبيد الله بن موسى أنبأ إسرائيل عن السدي قال سألت مرة عن قوله عز وجل وإن منكم إلا واردها فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد الناس ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد رواه شعبة عن إسماعيل السدي

وقال :

المستدرک علی الصحیحین ج: ٤ ص: ٦٣٠

٨٧٤٢ حدثناه أحمد بن كامل القاضي أنبأ أبو بكر بن أبي العوام ثنا سعيد بن عامر ثنا شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله وإن منكم إلا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم

٨٧٤٣ حدثنيه أبو علي الحافظ ثنا أبو عبد الرحمن النسائي ثنا محمد بن المثني ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله وإن منكم إلا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم قال عبد الرحمن بن مهدي فحدثت شعبة عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أدعه عمدا

٨٧٤٥ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجراح العدل بمرورنا يحيى بن ساسويه ثنا علي بن حجر ثنا داود بن الزبرقان عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن مرة الهمداني أن ابن مسعود سئل عن قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها قال وإن منكم إلا داخلها كان على ربك حتما مقضيا ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

فوائد متفرقة :

ابن كثير يجزم بتواتر القراءات السبع . (مالك يوم الدين)

ابن كثير يقول بالمجاز . (مالك يوم الدين)

تصحیح ابن كثير لسند فيه المثنى بن إبراهيم الأملي شيخ ابن جرير . آية ٤٦ من سورة البقرة
قال ابن كثير : فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب ويحتمل عندي أنه حفظه ،
ورواه من هذه الطرق كلها ، وقد سمعه من بعض الصحابة ، وبلغه عن بعضهم ؛ فإن
الأسانيد إليه جيدة ، وهو لا يتعمد الكذب .

وصلی اللہ علی نبینا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الفصل الأول : ترجمة الحافظ ابن كثير
١٥	قائمة بمؤلفات الحافظ ابن كثير
٢٦	عقيدته
٣٥	ابن كثير والجهاد في سبيل الله
	الفصل الثاني دراسة لتفسير الحافظ ابن كثير
٤٠	ومباحث متعلقة به
٤١	أولا : التعريف بالتفسير وطريقة مؤلفه فيه
٥٣	مصادر ابن كثير في التفسير
٧٣	ثانيا : الدراسات المستفيضة حول هذا الكتاب العظيم
٧٧	أهمية تفسير ابن كثير
٧٩	انتقادات وجهت له
٩٠	ثالثا : دراسة شاملة لمخطوطات هذا التفسير وأماكن وجودها
١٠٦	رابعا : الطبعات الموجودة التي وقفنا عليها لهذا التفسير ونظرات سريعة فيها
١١٩	كتاب فضائل القرآن
١٢٠	خامسا : موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات
١٤٠	سادسا : مقدمات علمية هامة تتعلق بتفسير ابن كثير
١٤٠	دراسة لبعض النسخ التفسيرية في تفسير الحافظ ابن كثير
١٥٥	نسخة تفسير السدي
١٦٨	فوائد متفرقة